قاسيون

العدد 364
السبت 12 تموز 2008
12 صفحة . الثمن (10) ل.س

بلغ عدد رواد موقعنا الالكتروني
حتى تاريخ إغلاق هذا العدد (6.143.394) زائراً..
زوروا «قاسيون» على موقعها الالكتروني:
WWW.KASSIOUN.ORG

ياعمال العالم، ويا أيتها الشعوب المضطَهَدة اتحدوا!

دمشق . ص . ب (35033) . تلفاكس (3349208) . أنترنت: (WWW.KASSIOUN.ORG) . بريد الكتروني: (GENERAL@KASSIOUN.ORG)

وسط مواصلة حلفاء واشنطن من كل حدب وصوب، وكل لغايته، استعجالها لشن عدوان على طهران، بلغ استعراض العضلات العسكرية بين الولايات المتحدة والكيان الإسرائيلي من جهة، وإيران من جهة ثانية، مرحلة غير مسبوقة، في وقت جددت فيه مختلف القيادات الإيرانية تأكيدها أن طهران جاهزة للرد عسكرياً على أي عدوان يطالها، واختبرت لهذا الغرض سلسلة صواريخ مطورة حديثاً، من بينها ثلاثة من طراز شهاب 3 مداها 2000 كم، أي قادرة على الوصول إلى عمق الكيان الإسرائيلي الذي ورد في إحدى صحفه البارزة، «يديعوت أحرنوت» يوم الاثنين الماضي عنوان لافت يقول: «نهدد إيران- هل قمنا باحتلال بنت جبيل؟»..

الافتتاحية

ماذا يريد المنبطحون؟

تؤكد الأيام أن الأزمة الرأسمالية العالمية ليست عابرة وطارئة، بل هي عميقة ومستمرة، ولن تنتهي دون حدوث تغيرات جذرية في بنية الاقتصاد العالمي تؤدي إلى إعادة توزيع الثروة بشكل عادل.. أي أن النظام الرأسمالي العالمي اليوم، مهدد في الصميم، كما لم يكن مهدداً في أي يوم من الأيام، حتى في تلك الأيام التي سجلت فيها قوى التحرر والتقدم والاشتراكية انتصاراتها الكبيرة في النصف الأول من القرن العشرين..

والسؤال الذي يقض مضاجع الكثيرين هو: هل ستقبل هذه الرأسمالية المتوحشة التي تسير في مقدمتها الإمبريالية الأمريكية هذا الانهيار طائعة، مسالمة، أم ستلجأ كعادتها لاستخدام آلتها العسكرية الضخمة لتأخير فعل القوانين الموضوعية التي تفعل فعلها فيها؟.. الأيام والأسابيع القليلة القادمة ستجيب على هذا السؤال!

والجدير بالذكر أن الذين يراهنون على خروج الإمبريالية الأمريكية من أزمتها الحالية سالمة، مسلحة، يهربون بعيداً عن تفسير السبب الحقيقي لارتفاع أسعار الطاقة والمواد الغذائية، والتي ما هي إلا عناصر سطحية للمشكلة العميقة، وبإيحاء من الإعلام الغربي المعولم والتوتاليتاري بكل ما لهذه الكلمة من معنى، قاموا بإرجاع الأزمة في بادئ الأمر لعامل العرض والطلب، ولكن سرعان ما تخلّوا عن هذه الحجة بعد تأكيدات الدول المنتجة المختلفة أن لا مشكلة في العرض، ليلجؤوا حالياً إلى تحميل المضاربات فقط مسؤولية ما يجري.. ومع عدم إنكارنا لدور المضاربات في رفع الأسعار على الطاقة والمواد الغذائية بشكل عام، إلا أن هذا العامل لا يمكن أن يفعل فعله إلا مترافقاً مع العامل الأساسي الذي يحاولون إخفاءه ألا وهو الانهيار الحقيقي للدولار الذي يجري تسعير كل البضائع العالمية عبره..

إذاً فالأزمة هي أزمة انهيار الدولار كتعبير عن انهيار الاقتصاد الأمريكي والذي ستتسارع وتائره يوماً بعد يوم، والتي لن تكون إلا ذات طابع عالمي ستجر وراءها كل الاقتصادات الرأسمالية المتقدمة وغير المتقدمة كون الاقتصاد الأمريكي ودولاره، اقتصاداً ودولاراً، مهيمنين عالمياً أولاً بسبب قوته السابقة الآفلة، ولاحقاً بالاستناد إلى ما أنتج تاريخياً من قوة عسكرية وسياسية مرشحة إذا لم تسارع لإنقاذ نفسها بإجراءات لا اقتصادية، هي أيضاً للأفول، لتأخذ مكانها الحقيقي والطبيعي الذي يجب أن يتناسب وحجمها على خريطة اللوحة العالمية الآخذة في النشوء الآن.

والحال كهذه، فالسؤال الذي يجب أن يُطرح: لماذا يصرُّ البعض لدينا من أولئك الليبراليين الذين يمسكون بدفة الإدارة الاقتصادية، على تطبيق تلك الوصفات الآتية من وراء المحيط، من رفع للدعم وانسحاب تدريجي للدولة من الاقتصاد والمجتمع، في وقت أصبحت مرجعية أصحاب هذه الوصفات من الناحية العلمية والعملية في خبر كان؟!

إن حماية البلاد من موجة التدمير الشامل الاقتصادية التي تجتاح العالم الرأسمالي، تتطلب وبأسرع ما يمكن، أن ننأى بأنفسنا عن تلك السياسات التي فُرضت علينا، وأن نقوم ببناء نموذجنا الذي سيسمح لنا أن نصمد في وجه العواصف المتصاعدة في الاقتصاد الرأسمالي العالمي.. وفي حال لم يحدث ذلك سيصبح مشكوكاً بإمكانية استمرار الدور السوري في المنطقة على أساس ممانعته للمخططات الأمريكية ـ الإسرائيلية. والسؤال الجاد هو: أوليس هذا ما يريده تماماً المنبطحون أمام الوصفات الخارجية، حتى ولو غلّفوا سياساتهم بآلاف الشعارات الطنانة الرنانة عن نياتهم الافتراضية؟.. إن الوقائع قد دحضت كل هذا التوجه.. وإنقاذ الاقتصاد السوري والمجتمع السوري الذي يئنُّ بأكثريته تحت أثقال ارتفاعات الأسعار المستمرة، يتطلب إعادة التوجه السريع نحو سياسات اقتصادية تؤمّن أرضية المقاومة، ونحو سياسات اجتماعية تكفل الاستقرار الاجتماعي حمايةً للوحدة الوطنية، وفي ذلك ضمانة للحفاظ على كرامة الوطن والمواطن..

■■

د. كمال خلف الطويل لقاسيون:
«حزب الحرب» يقود أمريكا للانهيار.. 8-9

حدث عشية رفع الدعم..
وما خفي أعظم .. 3

نشكو.. ونشكو..

◄ محمد الجندي

نشكو موضوع الماء في هذا الصيف الحار، موضوع الكهرباء، موضوع المحروقات، موضوع الغلاء، أداء الفريق الاقتصادي، أداء هذا الوزير أو ذاك، أداء هذه الإدارة، أو هذه الدائرة، أو تلك. غير أن جميع الشكاوى تختصر في شكوى دستورية.

هل لدى الجبهة الوطنية رأي في تشكيل الوزارة؟ في تكليف زيد أو عمرو بتشكيل الوزارة؟ هل قدم السيد رئيس الوزراء بياناً إلى مجلس الشعب، ونالت وزارته الثقة على أساسه؟ هل يحاسب مجلس الشعب دورياً رئيس الوزراء والوزراء على أدائهم؟ هل الأداء الواقعي للوزارة، وللوزراء هو بموافقة مجلس الشعب؟

هل يستطيع مجلس الشعب أن يحاسب الوزارة على التطبيق الكيفي للقانون، على التسريح التعسفي، على عدم محاسبة المسيئين في هذه الدائرة أو تلك، على أمور خطيرة تشم رائحتها، دون أن تعالج سلباً أو إيجاباً.

ليست المسألة، إن كان فلان، أو فلان جيداً أو سيئاً، فـ«كل الناس خير وبركة»، المسألة هي إن كان ذلك الفلان يخضع لمرجعية فيما يتعلق بدوره الاجتماعي والاقتصادي والسياسي، والمرجعية في البلد، من المفترض أن تكون مجلس الشعب.

غير أن الجبهة الوطنية التقدمية ومجلس الشعب، من المفترض أن يحددا السياسة العليا بمنطلقاتها الأساسية. هل المنطلقات هي سياسة وطنية تعبئ المواطنين حول أهداف تحررية، سورية وعربية وإقليمية؟ أم هي سياسة الليبرالية الجديدة؟ إذا كان الخيار الأخير هو المقرر، وهو أمر مستبعد، يكون أمرنا لله، فكل السلبيات تأتي عبر ذلك: اقتصاد السوق، الخصخصة، رفع الدعم، اضطهاد العمال بالتسريح التعسفي وبقضم الحقوق، و..الخ؛ ويأتي الفقر والخلل الاجتماعي من كل نوع.

وإذا كان التوجه نحو الخيار الثاني مصدره اجتهادات فردية من الوزراء، أو من مجلس الوزراء، دون أن يكون ذلك متفقاً مع منطلقات السياسة العليا للبلاد، فمن المفترض حينئذ، أن تأخذ الجبهة الوطنية التقدمية، وكذلك مجلس الشعب دورهما.

المسألة ليست في التفاصيل، وإنما هي في أمر أساسي يتعلق بالمرجعية القانونية والدستورية، والبرنامج الوزاري، الذي إذا كان موجوداً فهو غير مقر.

■■

النفط العراقي
بين ثلاثية الاحتلال والأسعار والحكومة الألعوبة..

ترجمة قاسيون

تجاوزت أسعار النفط 142 دولاراً للبرميل مجدداً، وهو ما عكس قلق السوق المستمر من الصراع في العراق المحتل والمخاوف المتجددة من قصف أمريكي على إيران فيما يتعلق بالقضية النووية.

وجددت إيران تهديدها بإغلاق طرق الشحن الحيوية التي تنقل حوالي 17 مليون برميل من النفط يومياً عبر الخليج، إذا تمت مهاجمة الجمهورية الإسلامية من جانب الولايات المتحدة أو إسرائيل.

وتمثل رد الولايات المتحدة في محاولة زيادة إنتاج النفط في العراق المحتل أمريكياً. وفتح حكام بغداد/ الدمى الاحتياطات النفطية العراقية الكبيرة أمام السلب الإمبريالي، دافعين المؤسسات الأمريكية والبريطانية إلى العودة للعراق للمرة الأولى منذ أن قام النظام السابق بتأميم صناعة النفط العراقية طيلة الأعوام الثلاثين الماضية.

لعبت مجموعة من مستشارين أمريكيين بقيادة فريق وزارة الخارجية الأمريكية دوراً متكاملاً في تخطيط العقود بين الحكومة العراقية الألعوبة وبين خمس شركات نفط رئيسية لتطوير بعض أكبر حقولها النفطية في العراق المحتل.

وسيتم فتح ثماني مناطق حقول نفط وغاز أمام شركات النفط الكبرى من أجل عقود التطوير طويلة الأمد، ومن المتوقع أن يمنح النظام الألعوبة سلسلة من العقود غير الملزمة إلى شركات إكسون موبايل وشيل وتوتال وبريتش بتروليوم وشيفرون لاستغلال أكبر حقول العراق النفطية.

وتأمل وزارة النفط الألعوبة في أن تعزز هذه العقود إنتاج النفط بنسبة 60 % من مستويات تعد حتى الآن الأعلى منذ الغزو الأمريكي للعراق عام 2003، على الرغم من أنها ماتزال دون المستوى الذي وصلت إليه خلال عهد صدام حسين.

وادعى النظام الألعوبة أن الإنتاج المتزايد سيوفر مصادر إضافية لتجهيز البنية التحتية العراقية وتقديم الخدمات للشعب. ولكن هبوط الأسعار الذي منيت به صناعة النفط، هدف الإمبرياليين من الحرب الرئيسية غير المعلنة، سيفيد فقط الشركات النفطية الكبرى.

■ صحيفة «نيو وركر» - الحزب الشيوعي البريطاني الجديد

بصراحة

التشاركية وفريق العمل الواحد.. سقوط بحكم التجربة

◄ عادل ياسين

منذ أن أطلت علينا الحكومة بمشروعها (الإصلاحي) للقطاع العام الصناعي، وهي تؤكد للملأ أن هذا المشروع سيُخرج الزير من البير، وهو الذي سينهض بالشركات والمؤسسات، ويجعلها بكامل عافيتها وصحتها الإنتاجية، حيث استغرق الكلام المعسول هذا ثماني سنوات من النقاش والحوار، والأخذ والرد والتبديل والتعديل والتمرير.

ينتهي كل ذلك الجهد غير العادي الذي كلف البلاد والعباد الشيء الكثير، ليكون مآله إلى متحف الشمع التاريخي، لتطّلع عليه الأجيال القادمة.

والسؤال المطروح: هل كان طرح المشروع ثم وضعه في الدرج مصادفة أم ضرورة حكومية؟! كل المؤشرات والدلائل تشير إلى أن الفريق الاقتصادي، ومن لف لفه، لم يكن في برنامجهم وسياساتهم الاقتصادية أية خطة للإصلاح، لأن الإصلاح يعني استثمار أموال كثيرة في هذا الجانب، ولكن ما طُرح هو بمثابة بالونات اختبار أطلقها الفريق الاقتصادي قبل شن الغارات المتعاقبة لقياس شدة الممانعة لسياساته الاقتصادية الليبرالية، من مختلف القوى التي لها مصلحة في الدفاع عن القطاع الصناعي وإصلاحه، بما يلبي المصلحة الوطنية اقتصادياً وسياسياً، وإن البرنامج الأساسي للفريق الاقتصادي هو ما ينفذ الآن عبر:

1- تطبيق المرسوم (54) الذي جاء في غير زمانه ومكانه، حيث جاء والشركات مجردة من كل ما يمكّنها من إعادة إنتاج نفسها، بالوقت الذي يُطلب منها أن تنتج، وتدفع أجور عمالها وتسوق إنتاجها ذا التكاليف العالية، وهي لا حول ولا قوة لها، بعد أن أخذت لحماً، ورُميت عظماً، وتحولت آلاتها وخطوطها الإنتاجية إلى خردة، كما عبر عن ذلك أحد النقابيين، ومع ذلك فإن هذه الشركات قد حققت ربحاً عام 2007 يزيد عن تسعة مليارات ل.س.

2- تصريح رئيس الوزراء أنه (لم يَعد ولن يَعد بتثبيت العمال المؤقتين) وهؤلاء العمال يبلغ عددهم (48 ألف عامل) حسب إحصائية نقابات العمال، التي كانت تؤكد أن الحكومة جادة في إصدار مرسوم شبيه بالمرسوم (8) لتثبيت العمال المؤقتين الذين إن ثُبّتوا لن يضيفوا أية أعباء مالية جديدة على خزينة الدولة. إن ذلك التصريح يعني فيما يعنيه لجوء الحكومة لعمليات تسريح لهؤلاء العمال، والكثير منهم يعمل منذ سنوات بصفة عامل مؤقت، والحكومة الآن تقوم بتسريحهم تحت شعار مكافحة الفساد، كما حدث في حمص وحلب، وكأن مكافحة الفساد تبدأ من تحت فقط، ولا تطال من هم فوق، باعتبار فوق منزهين عن الفساد والنهب ومحصنين ضده!!.

3- المسح الذي تقوم به وزارة الصناعة في الشركات والمعامل، لتبيان عدد العمال الفائضين في كل شركة ومعمل، ليصار إلى دراسة أوضاعهم وترحيلهم إلى جهات أخرى، وتخليص الشركات منهم، وكأن هذه العمالة (الفائضة) هي من أوصل هذه الشركات إلى أوضاعها الحالية، ولإصلاحها وإعادة تشغيلها بالمقاييس الحكومية لابد من هكذا إجراء، بالوقت الذي يؤكد فيه واقع الشركات أن هناك نقصاً باليد العاملة الإنتاجية، كما هي حال شركات دمشق النسيجية، حيث يبلغ النقص حوالي 3000 عامل، وليس هناك فائض، وإن وجد فإن ذلك يكون بالإدارات (العصملية) التي أكل الدهر عليها وشرب.

إذاً الحلقة الأضعف التي توجّه الحكومة نيرانها باتجاهها هي اليد العاملة، عبر الاعتداء على أجورها وأماكن عملها، الذي كفله لها الدستور، والتي تسعى الحكومة بكل السبل إلى تطفيش العمال بعدم دفع أجورهم، في ظل أوضاع معيشية لا يحسدون عليها، وخاصة عمال الشركات المتوقفة أو المخسرة التي يزداد عددها يوماً بعد يوم، باعتبار القانون لا يسمح بدفع الأجور كما أعلن وزير الصناعة عن وزارة المالية في رده على مطالبة رئيس الاتحاد العام لنقابات العمال بضرورة دفع أجور العمال في جلسة مجلس الشعب بتاريخ 2008/6/13، وهذا الرد يؤكد أن مستقبل العمال في خطر، وتتسع دائرة الخطر هذه كلما سارت السياسات الليبرالية قدماً دون مواجهة لها توقف تقدمها، والتي تستفيد من الظروف الداخلية التي ساهمت في صنعها، مستفيدة من الظروف الإقليمية التي تضغط باتجاهها بقوة، اقتصادياً وسياسياً.

إن الدفاع عن حقوق العمال الأجرية وعن القطاع العام الصناعي يعني في مقدمته التخلص من وهم الشراكة مع الحكومة، ومن نظرية فريق العمل الواحد، التي أكدت الحياة وسياسات الحكومة وتجربة الطبقة العاملة عدم صحتها، وبالتالي فإن التصدي لتلك السياسات يتطلب العودة إلى التقاليد النقابية التي سار عليها أجدادنا النقابيون، في نضالهم من أجل حقوق الطبقة العاملة ومكاسبها. فهل تعود النقابات إلى تقاليدها الكفاحية؟!

Adel@kassioun.org ■

مركز تسويق الحبوب والصوامع (أفاميا).. العمال يستغيثون

◄ يامن طوبر

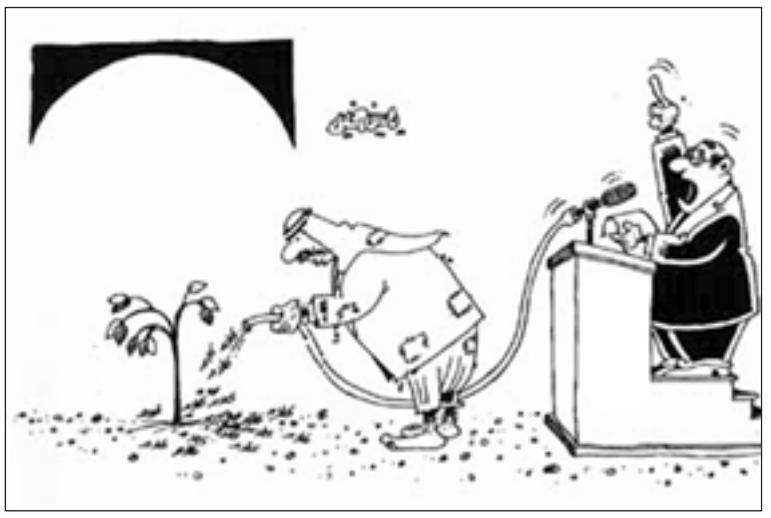

إذا جرى وانساق المرء مع المشاعر الغاضبة لبعض الفلاحين ممن يعملون في مركز تسويق وصوامع حبوب قلعة المضيق (أفاميا)، قد يعدّ المركز مكاناً لحياكة المؤامرة على الوطن، فالفلاحون يشتكون من المركز، ويحملونه مسؤولية ظلمهم ومآسيهم في نهاية رحلة الحصاد الطويلة، والعاملون بالمركز يصرخون لرفع الظلم عنهم وتحقيق مطالبهم المتكررة ويحملون إدارة المؤسسة المسؤولية، والمؤسسة لا تنأى بعيداً عن هذه التراتبية، لكن المتبصر في حقيقة ما يجري سرعان ما يكتشف أن الكل مظلوم، والظالم الأكبر هو هذا النهج الاقتصادي المتبع الذي انتهك حقوق الكادحين والوطن، وتجاوز الدستور في مطارح عدة.. إنها الرحى التي تطحن الجميع دون استثناء .

العامل عبد المجيد وهو خبير حبوب (ساحة)، موفد من مركز حماة يقول: يبدأ دوامي من الساعة السابعة صباحا وينتهي في الساعة السابعة مساءً، ونعمل – أنا وزملائي – كل هذه الساعات الطوال دون مكافآت، ونفرز باليوم الواحد مئات العينات، إذ يتراوح عدد جرارات القمح التي نستلمها بشكل يومي من 200 – 300 جرار، في حين هناك بعض المراكز التي لا تسوق عشر هذا العدد، ومع ذلك نُعامل كما يعاملون من حيث الأجور وطبيعة العمل، وفوق هذا كله نحن محرومون من إذن السفر.

أما المهندس رضوان عبد الرحمن، وهو يعمل أمين مستودع الحبوب، فيقول: جرت العادة أن أمين المستودع يستلم دراجة نارية لأن طبيعة عمله تقتضي تواجده قبل بدء الدوام الرسمي بنصف ساعة وينتهي بعده بمثلها.. وعدوني أكثر من مرة، ولكن (عالوعد ياكمون)، وهاهو الموسم يشرف على نهايته ولم أستلم (الشبح) بعد، في حين أن من يجلسون وراء الطاولات في المكاتب المكيفة يتنقلون بالسيارات، ونحن كعمال ميدانيين تشوينا الشمس الحارقة، ويخنقنا غبار القمح لا نحصل على دراجة .

المهندس مثيل وهو محلل مخبري، يقول: «نتعامل مع سموم فتاكة (فوسفيد الألمنيوم)، وهي تسبب أمراضاً عدة منها السرطانات والزهايمر والرعاش، وليس لدينا ما يقينا من هذه السموم. التمييز موجود بين العاملين في شركة الصوامع وبعض المؤسسات، وحتى ضمن الشركة الواحدة، فالعامل منا لو تعرض لأية إصابة من إصابات العمل وتحطم، فالعلاج يكون على نفقته مثله مثل أي مواطن عادي دهسته سيارة عابرة. نحن في مركز قلعة المضيق محرومون من أدنى حد للضمان الصحي، فيما زملاؤنا بفرع المؤسسة في المنطقة الوسطى ونحن تابعون نظرياً له، فلديهم طبيب، ويستفيدون من هذه الميزة.. إن ما يحول دون تشميلنا هي القوانين البالية والحجج الواهية، يقولون لنا عندما يصبح عددكم مئة عامل (وهو لن يصبح) يطبق عليكم نظام الطبابة، ومتى يصبح عددنا مئة هل بعد مئة عام؟؟ هل بعد أن تطيح بنا السموم؟ من حقنا لباس واق من هذه السموم بدل الكمامات الورقية التي لا تقي من شيء. نرجو إسماع صوتنا وإنصافنا على مستوى الطبابة أو تعويضات مالية للمعالجة والوقاية من هذه الأمراض الفتاكة. أما نظام المكافآت فهو مجحف، ولا يتناسب مع طبيعة عملنا، وبالنسبة لدور نقابات العمال فهي مهمشة ومسيطر عليها من الغير، وهذا يتنافى مع طبيعة النقابات ومهام عملها، وإن اعتصم غيرنا في أمكنة أخرى نأمل أن لا نصل إلى هذا الحد. من جهة أخرى إننا نتنقل على حسابنا، وإن كان هناك من زيادة في الأجور فقد ابتلعتها وسائط النقل وخاصة بعد زيادة أسعار المحروقات وآثارها المدمرة. وأخيراً أقول لك: إني قد خضعت لدورة أنا وبعض من زملائي لمدة عشرة أيام، وبدلاً من أن يصرف لنا إذن سفر الدورة كاملاً، فوجئنا بصرف إذن سفر يوم واحد.. إن الأمر يخضع لمزاج المدراء».

عدنان أمين خزن الصومعة يقول: نحن لسنا مشمولين بالضمان الصحي رغم ما قالوا وما يقولون عن هذا الضمان، ورغم ما يصدر من قوانين، وما رصد من أموال لهذه الغاية. نحن العاملين في الخزن لم يصلنا شيء من هذا، رغم أننا نتعامل مع المواد السامة بحكم عملنا في تعقيم صوامع خزن الحبوب، علماً أن زملاءنا في حماة يستفيدون من الطبابة، وعند مطالبتنا بالطبابة كان الرد: (إنكم تبعدون عن المركز في حماة 50 كم)، وكأن السموم والأمراض وقودها المازوت. نرجو مساواتنا بغيرنا في مركز الإدارة ونرجو تشميلنا بالضمان الصحي» .

المهندس سمير رحال مدير صوامع قلعة المضيق (أفاميا)، عندما دخلنا مكتبه شعرنا بأنا انتقلنا من فصل إلى آخر حيث كان المناخ عنده معتدلاً ومائلاً إلى البرودة، وقد فاجأنا بالقول: «لا توجد لدينا أية مشاكل، وهذه إن وجدت تحلها الإدارة بالتعاون مع اللجنة النقابية، وعندما نعجز عن حل المشكلة سنلجأ للصحافة»!!!. ■■

وزير الصناعة يطلب

استكمالاً لحلقات تضييق الخناق على الشركات الإنتاجية، أصدر وزير الصناعة تعميماً إلى المؤسسات العامة الصناعية يطلب فيه من الشركات ألا توقع عقوداً في حال عدم توفر السيولة المالية لديها، حيث جاء في التعميم: (نظراً لورود كتب كثيرة إلينا تطلب تأمين سيولة مادية لشراء مواد أولية من أجل تنفيذ عقود لصالح جهات عامة أخرى، يطلب إليكم توجيه الشركات التابعة بعدم توقيع عقود لمن لا تتوفر لديهم السيولة المادية اللازمة لتنفيذها).

ماذا يعني هذا؟ يعني استمرار توقف هذه الشركات عن العمل وفي هذا خسارة اقتصادية كبيرة لخزينة الدولة، في حين يشكو الوزراء دائماً من عدم وجود موارد لديهم، ويعني أيضاً دفع الجهات العامة التي تريد أن تُصنّع لدى هذه الشركات، للتصنيع لدى القطاع الخاص، حيث تكون التكاليف عادة أكبر مما لو صُنعت هذه الطلبيات في معامل القطاع العام.

وأيضاً، وهذا المهم، خسارة العمال لأجورهم، حيث لا تستطيع هذه الشركات دفع أجور عمالها لعدم توفر السيولة اللازمة لذلك، ما يدفع العمال للاحتجاج والمطالبة بالأجور، كما حدث في عدة شركات.

إن الدفع باتجاه مزيد من الاستعصاء في وضع الشركات المتوقفة والمخسرة، يبدو القصد منه إنهاء هذه الشركات، باعتبارها تشكل عبئاً على موارد الدولة، ولا يمكن الاستمرار بتحملها طويلاً، كما يصرح المسؤولون، وبالتالي طرحها للاستثمار أو التأجير، هو الحل الذي يلبي ويتوافق مع السياسات الليبرالية، التي تقود الاقتصاد الوطني إلى مواقع غير وطنية، ولا تحترم مصالحه أبداً. ■■

لماذا عدّوني فاسداً؟!

تتابع «قاسيون» ملف المصروفين من الخدمة في محافظة حمص، الذين تم صرفهم بسبب مقاومتهم لمشروع الفساد المتسلح بقوة السلطة وجبروتها، ضمن منظومة مخطط لها أن تقوم بتدمير الاقتصاد الوطني وزيادة النقمة الشعبية، خدمة لأعداء الوطن.

ولقاؤنا اليوم مع المهندس الزراعي أحمد وسوف الذي أفادنا قائلاً:

لماذا تتستر الجهات الوصائية على تصرفات المسؤولين الخارجين عن القانون بينما تستقوي على الشرفاء الضعفاء؟

● المهندس الزراعي أحمد وسوف

تم تعييني في مديرية الخدمات الفنية بحمص عام 2004 وتم فرزي بعد ذلك إلى مديرية الشؤون الصحية في مجلس المدينة، وعملت لمدة سنة ونصف نلت خلالها العديد من المكافآت لقاء جهود في مصادرة مواد غير صالحة للاستهلاك البشري من أسواق ومعامل حمص.

وأثناء وجودي في إجازة زواج بداية عام 2006، ادعت رئيسة مجلس المدينة المهندسة لينا الرفاعي وجود شكوى شفهية بحقي وبحق رئيس قسمي موفق المهدي، وبدون فتح أي تحقيق معي وفق ما ينص عليه القانون، قامت باقتراح فرزي إلى مجلس مدينة تدمر عام 2006، استناداً لأمر إداري من محافظ حمص. علماً بأن طبيعة عملي في الشؤون الصحية كانت تقتضي التفتيش على المعامل، وأخذ عينات لفحصها والتأكد من مطابقتها للمواصفات الصحية، ومدى صلاحيتها للاستهلاك البشري، وخلال عملي تعرضت لمشاكل عديدة مع أصحاب هذه المعامل بسبب قيامي بمصادرة أنواع عديدة من المواد المنتهية الصلاحية، وأهمها ما يلي:

1 ـ مصادرة منكهات غذائية منتهية الصلاحية بكمية 6.5 طن من معمل كراش، وتم عرض مبالغ خيالية مقابل سكوتي عن الموضوع، لكني رفضتها، وقد اقترحت لجنة المصادرة إغلاق المعمل لمدة ثلاثة أشهر كعقوبة لكن المحافظ لم يوافق إلا على ثلاثة أيام، لا أدري ما السبب!!

2 ـ مصادرة كمية 90 طن من الكولين (مادة مضافة لعلف الدواجن) منتهية الصلاحية، رغم اقتراحي بإتلاف الكمية إلا أن المحافظ سمح لصاحب المادة باستردادها بطريقة غير قانونية.

3 ـ مصادرة كمية 6 طن من الفروج الفاسد، مخزنة لدى الشركة العامة للخزن والتبريد، لصالح المواطن حسن الحكيم لاستخدامها في صنع المرتديلا.

4 ـ مصادرة كمية 10.8 طن نسكافيه وحليب، لصالح شركة نستله، مخزنة في مستودعات الخزن والتبريد.

إضافة لكميات أخرى من المواد المتفرقة، ما جعلني أشكل حجر عثرة في طريق بعض التجار وأصحاب النفوذ، الذي يتلاعبون بقوت الشعب.

ورغم أنني كنت عضواً في عدة لجان ممثلاً لمحافظة حمص (لجنة الرقابة على المنشآت السياحية لجنة الرقابة الذاتية المسبقة، لجنة الأفران والمعامل والمتابعة، وغيرها) وأصبحت من العناصر البارزين والنشيطين فيها، استناداً لكتب صادرة عن رئيسة مجلس المدينة.

رغم كل ذلك جرى فرزي إلى مجلس مدينة تدمر بشكل يخالف قانون العاملين الأساسي، بغية إبعادي عن مصالح أصحاب النفوذ في المحافظة.

وبعد أن قمت بتنفيذ أمر الفرز استُدعيت لتأدية خدمة العلم، وأثناء وجودي بالخدمة قامت رئيسة مجلس المدينة برفع مقترح لصرفي من الخدمة، رغم أنني كنت أؤدي واجبي في حماية الوطن، وبالرغم من عدم وجود أية عقوبة مسلكية بحقي طوال فترة خدمتي بالدولة، وقد تجاهلت رئيسة مجلس المدينة وجود كثير من العاملين الفاسدين الذين تم توقيفهم بالسجن، أو لديهم تقارير تفتيشية وعقوبات مسلكية، ولم تقم باقتراح صرفهم من الخدمة.

وبعد عودتي من خدمة العلم في نهاية عام 2007 أمضيت حوالي 3 أشهر في مديرية الحدائق وفوجئت بصورة قرار رئيس الوزراء رقم 1380 تاريخ 2008/3/31 القاضي بصرفي من الخدمة، ودون أن يتم التحقيق معي من أية جهة، دون فرض أية عقوبة مسلكية بحقي، ولا أدري كيف يتم ذلك بدون أي وثائق.

وقد تقدمت بعدة كتب للتظلم من هذا القرار لمحافظ حمص ووزير الإدارة المحلية ورئيس الوزراء ورئيس الجمهورية، ولكن دون جدوى!!

وحالياً تم إثارة موضوعي مع زملائي المصروفين من الخدمة أمام مجلس الشعب، وأتمنى من السيد رئيس مجلس الشعب الموافقة والمبادرة لتشكيل لجنة تحقيق بهذا الموضوع، وأن تقوم هذه اللجنة في حال ثبوت براءتنا بإعادتنا لعملنا، وتعاقب كل من ساهم بصدور القرار الظالم بصرفنا من الخدمة مهما كان منصبه. وأشكر جريدة «قاسيون» على اهتمامها بقضايا العمال والمواطنين. بعد كل هذا تتساءل «قاسيون»: لماذا التستر والسكوت على تصرفات كثير من المسؤولين الخارجة على القانون، من الجهات الوصائية العديدة المختصة؟! مذكرين بالقسم الدستوري الذي يقول: (أقسم بالله العظيم أن أحافظ مخلصاً على النظام الجمهوري الديمقراطي الشعبي، وأن أحترم الدستور والقوانين، وأرعى مصالح الشعب وسلامة الوطن. لقد بات واضحاً وجلياً مخالفة المسؤولين للقوانين والأنظمة والدستور، والأوامر الصادرة عن الجهات الوصائية، وخاصة في موضوع صرف هؤلاء العاملين الأبرياء من الخدمة، وإن غرور السلطة وعدم وضع حد لهذه التصرفات من سلطة أخرى، سيؤدي لمزيد من المخالفات بحق الوطن والمواطنين، والسؤال لماذا لا يتم إعفاء الفاسدين من مناصبهم؟ ومحاكمتهم على تصرفاتهم المخالفة للقانون؟!.. إنه السؤال الصعب في الزمن الصعب.. وإلى اللقاء مع (مصروف) آخر من العمل!!!

■ إعداد: حكمت سباهي

حدثَ عشية رفع الدعم.. وما خفي أعظم!!

◄ جهاد أسعد محمد

شكّل رفع أسعار المازوت فرصة إضافية لبعض الفاسدين في جهاز الدولة لنهب المزيد من المال العام، فكونهم في دائرة القرار أو على محيطها، أعدّوا كل ما يلزم لسرقة ما تيسر لهم من المبالغ الكبيرة التي تشكل الفارق بين السعرين القديم والجديد للمازوت، وإضافتها إلى ثرواتهم الطائلة التي أصبح من الصعب تقدير حجمها وأرقامها، وهي التي ما فتئت تتضاعف في البنوك المحلية والخارجية، فيما الخزينة العامة تكاد تنضب، ويشكو القائمون عليها (الفريق الاقتصادي تحديداً) من قلة الموارد التي تغذيها، دون أن يقوموا بأي إجراء لاسترجاع ما تم ويتم نهبه جهاراً نهاراً من هؤلاء الناهبين المتنفذين، بل إن جل ما فعلوه في هذا الشأن هو أن اتخذوا من هذا النهب ذريعة دائمة لاتباع سياسات وإصدار قرارات أدت إلى تجويع الناس وضرب استقرارهم واستقرار البلاد الاجتماعي والاقتصادي..

وكمثال على ما يمكن أن يكون قد حدث قبيل رفع أسعار المازوت في مواقع كثيرة، وخصوصاً في المحافظات البعيدة، نورد الحادثة التالية التي جرت في ريف دمشق:

عشية رفع الدعم، وتحديداً في يوم الخميس 1 /5 /2008 وصل إلى محطة وقود (الرحيبة) التي تم إنشاؤها في هذه البلدة القلمونية لتزويد الكسارات المنقولة من (حفير) بالمازوت، أربعة صهاريج مازوت كاملة محملة بما مقداره 140599 ليتر، وفرغتها في خزانات المركز، ولم يتم توزيعها في ذلك اليوم، على اعتبار أن يوم الجمعة هو يوم عطلة ولا تعمل فيه الكسارات، ومساء الجمعة 2 /5/ 2008 تم رفع سعر المازوت بنسبة 375 %، وبطبيعة الحال فإن جهات التفتيش المعنية، كانت تقوم ليلة رفع الدعم بجولات شاملة لتحديد الكميات الموجودة في المحطات كافة وحصرها، وحساب فروقات السعر لصالح الخزينة، وقد طالت جولاتها مركز (الرحيبة) لإخضاعه للإجراء نفسه، لكن رجال التموين وجدوا المركز مقفلاً.. ولم يستطيعوا الاتصال بإدارته أو بأيٍ من العاملين فيه.

وقد وصلتنا معلومات شبه مؤكدة، تفيد أن رجال التموين اتصلوا بمدير التموين في ريف دمشق السيد شفيق العزب لإخباره بما حدث معهم في مركز الرحيبة، فأجابهم: «من قال لكم أن تذهبوا إلى هناك؟؟ اتركوه وارجعوا فوراً»!!.

وفي يوم السبت 3 /5 /2008 باشر المركز توزيع كميات المازوت الكبيرة الموجودة في خزاناته بالسعر الجديد، أي بـ 25 ل.س، ولا أحد يعلم إلى جيب مَن ذهب الفارق الكبير بين السعرين، وكيف مرت القضية دون مساءلة أو محاسبة أحد؟!

ولعل من الأدلة البسيطة على ما جرى، هو أن سائقي صهاريج التزويد الذين ذهبوا إلى مركز الرحيبة يوم السبت ظهراً، أي بعد ارتفاع سعر المازوت، لتفريغ كميات إضافية من المازوت في خزانات المركز، انتظروا ساعات وساعات قبل إتمام ذلك، كون الخزانات كانت مليئة أصلاً بالمازوت والطلب غير كبير، وبالتأكيد فإن هؤلاء السائقين لن ينكروا هذه الحقيقة فيما لو قررت أية جهة سؤالهم عن ذلك..

هذا الموضوع نضعه برسم السلطات والجهات المختصة للتحقيق فيه، خصوصاً وأننا – في صحيفة قاسيون – لم نجد من يتعاون معنا بشكل جدي للوقوف على مزيد من التفاصيل والحيثيات والأرقام..

وفي العموم هناك العديد من الأسئلة يجب الإجابة عليها .. قبل أن يطوي الموضوع النسيان:

لمن ذهبت الأموال المنهوبة، ومن الذي تستر على هذه الجريمة الواضحة؟

ما الإجراءات التي اتخذها المفتشون بعد أن فشلوا في تقدير كميات المازوت الموجودة في مركز الرحيبة قبيل رفع أسعار المازوت، وبعد أن تلقوا أوامر العودة من مديرهم؟

ما مدى تورط مدير التموين في ريف دمشق بالجريمة، وهل الأخبار التي ترددت عن إقالته وملاحقته تتعلق بهذا الموضوع؟

لماذا أُنشئ مركز (الرحيبة) طالما أن هناك محطات موجودة في المنطقة، وتلبي طلب الكسارات، وهذه المحطات والمراكز خاضعة لرقابة صارمة.

لماذا فُرض على أصحاب الكسارات استجرار المازوت من هذا المركز بالذات؟

هذا وقد علمت قاسيون أن صهاريج هذا المركز أصبحت تصل إلى ما بعد منطقة أبو الشامات، أي إلى منطقة لا يتجاوز بعدها عن الحدود العراقية سوى ما يقارب 100 كم، ويقوم بعض سائقي هذه الصهاريج بملء خزانات في شاحنات عراقية وسورية بسعر 25.75، وتقوم هذه الشاحنات بتهريبه إلى العراق وبيعه بسعر 40 ليرة سورية على الأقل..

الجدير بالذكر أن هذا المركز يستجر 120 طلب مازوت شهرياً، في حين كانت تلك الكسارات تزود فقط بـ 35 طلباً من المحطات الموجودة في المنطقة، في وقت كان فيه استهلاك المازوت كبيراً جداً، أما الآن فالجميع يعلم انخفاض حجم الاستهلاك، ورغم ذلك فإن الطلب بازدياد، فما السر يا ترى؟

إننا، والجميع.. بانتظار التوضيح... والتحقيق..

■■

واقع امتحانات شهادتي التعليم الأساسي والثانوي في مدينة البوكمال

◄ تحسين الجهجاه-البوكمال

وضعت امتحانات المرحلتين الإعدادية والثانوية أوزارها، بعد أن خاض طلابنا معركة الحسم التي تراوحت بين الوعيد والترهيب، كيف سارت الامتحانات؟ وكيف كانت أجواؤها؟ وأين تكمن مواقع الخلل والنقصان؟ أسئلة طرحناها على عدد من المراقبين، وأمناء سر المراكز الامتحانية، فكانت الأجوبة على الشكل التالي:

أحد أمناء المراكز الامتحانية قال: أولاً كانت القرطاسية غير متوفرة بالشكل المطلوب واللازم، فعلى عكس الأعوام السابقة، تم تكليف مدراء المدارس في هذا العام بأن يبقوا قرطاسية مدارسهم خارج غرف إداراتهم، ليتم استعمالها أثناء فترة الامتحانات، لكن الكثير من هؤلاء المدراء لم يلتزموا بذلك خوفاً على ضياعها أو تلفها. ويتساءل أمين سر المركز: هل يريدوننا أن نشتري ما يلزم من قرطاسية على نفقتنا الخاصة؟ هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى عانينا من نقص أعداد المصنَفات التي تحوي اللوائح الاسمية للطلاب، والذي يجب أن يوجد منها ست نسخ، فلم يتوفر لنا منها سوى أربع نسخ، إضافةً إلى ذلك لا توجد في هذا المصنفات جداول للامتحانات، كما لاتوجد لوائح لتسجيل أسماء الغائبين من الطلاب، وخاصةً بالنسبة لطلاب المرحلة الثانوية، وقد تم استدراك ذلك في الأيام الأخيرة من الامتحانات.

الأنكى من كل ذلك أن أوراق الإجابة لم تكن كافية للطلاب، مثلما حدث في مادتي اللغة العربية واللغة الإنكليزية، فمرَّت عشر دقائق من المدة الامتحانية قبل أن أستطيع توفير ما يلزم من أوراق الإجابة عن طريق الاستعارة من مركز قريب من مركزي، فلو لم يوجد هذا المركز ماذا كنا سنفعل؟ وماذا ستكون النتيجة؟ علماً أننا في كل يوم نرفع تقريراً عن كل ما يلزم، وعن سير الامتحان، فلا نجد من يرد أو من يقرأ هذه التقارير، فنحن في واد والمسؤولون في واد آخر.

ولدى سؤالنا عن الحالة النفسية للطلاب، أجابنا: عن هذه الحالة حدث ولا حرج!! فليس من المعقول أن تقوم رئيسة قاعة بضرب طالبة، لمجرد أنها وجدت معها كراس صغير يحتوي على أدعية دينية، قبل دخولها للقاعة (حيث يتم تفتيش الطلاب قبل دخولهم قاعة الامتحان، حسب النظام المعمول به) مما أدى إلى أن تسلم الطالبة ورقة الإجابة وهي ناصعة البياض، لأنها بقيت تبكي طيلة الفترة الزمنية للامتحان.

أحد المعلمين ومراقبي الامتحانات قال لنا: تصوروا أن المعلمين والمعلمات من كبار السن، ورغم مرضهم، وتقديمهم تقارير طبية تثبت ذلك، لم يتم إعفاؤهم من المراقبة، وألزموا بها تحت التهديد بالعقوبات المادية.

معلم ومراقب آخر قال: لقد حدث أرباك شديد أثناء الامتحانات، وخاصةً للطالبات، حول موضوع توزيعهن على المراكز الامتحانية، فلم يؤخذ بعين الاعتبار مكان إقامة الطالبات، وتم توزيعهن على مراكز بعيدة عن أماكن سكنهن، مما حمَّل ذويهم مصاريف أجور نقل لا تقل عن مئة ليرة ذهاباً وإياباً، لعدم وجود وسائط نقل داخلي موزعة على الأحياء. ويتابع المعلم: أما من يسمُون بممثلي مديرية التربية أو الوزارة، فإن البعض منهم غير أهل لهذه المهمة.ويسيء استغلال سلطته، فيتعامل مع رؤساء القاعات والمراقبين بنفسية تسلطية، مبطنة بالتهديد والوعيد، وبعيداً عن روح الزمالة، مما يؤدي لإثارة أعصاب رؤساء القاعات، وكذلك المراقبين، فينعكس هذا سلباً على الطلاب أثناء الامتحان.

ومن حالات الإرباك الأخرى، تبرز مشكلة أسماء المدارس، فمدرسة بوكمال غرب مثلاً تقع شرق المدينة، و مدرسة بوكمال شرق تقع غربها!!

وفي النهاية نقول إن مسألة التعليم في محافظة دير الزور عامةً، ومدينة البوكمال بشكل خاص، تحتاج إلى المزيد من الاهتمام والرعاية من الجهات المعنية، التي أهملت المحافظة طويلاً، فبقيت لعقود طويلة «محافظة نائية ومتخلفة تعليمياً»!!!

■■

وتحققت أمنيتهم... أخيراً

بعد متابعة حثيثة من جريدة «قاسيون»، لمطالب أهالي حي الأكراد، في منطقة ركن الدين (حارة سعدون فوقاني)، الذين قدموا الكثير من الشكاوي والعرائض إلى الجهات المختصة، لأجل تحقيقها، وبعد أن قامت جريدة «قاسيون» بإجراء تحقيق صحفي في العدد 325، حول الوادي الواقع بين البيوت السكنية في تلك المنطقة، وما يبثه من سموم بين السكان، نتيجة عمليات حرق القمامة المتواصلة التي تتم في أسفل الوادي، فضلاً عن امتلائه بالأوساخ والقاذورات، التي أدت إلى اجتياح أسراب البعوض الكثيفة، والصراصير الطيارة، لمنازل السكان. ما أدى إلى إصابة العديد من أطفال الحي بعدة أمراض، كالربو والأمراض الجلدية.

بعد كل هذه الجهود لحل تلك المشاكل، أرسل محافظ دمشق د.بشير الصبان كتاباً تحت رقم 34082/ف بتاريخ 2008/6/26، يقضي بما يلي:

1 –ردم الوادي لمسافة طولها 50متراً، وعمقها 7 أمتار، جانب دكان البقَّال أبو نايف، تفادياً لحدوث كوارث، وإعداد المنطقة المردومة لتكون حديقة حي النقشبندي.

2 –ترميم وتمهيد الحارة الممتدة بجانب دكان البقَّال زياد السعدون، قرب جامع النقشبندي.

وبذلك تكون أمنية أهالي الحي قد تحققت، وهي الأمنية التي تعبوا لتحقيقها كثيراً، ويذكر في هذا المجال، أن أهالي الحي قد اقترحوا منذ عدة سنوات أن يقوموا بردم الوادي، وإقامة حديقة في موضع الردم، على نفقتهم الخاصة، إلّا أن اقتراحهم آنذاك لم يلقَ أذناً صاغية!!!

إننا بانتظار التنفيذ.

■■

كيف أصبحت شيوعياً

ضيف هذه الزاوية الرفيق عبد العزيز حسن حسين.

الرفيق المحترم أبو زويا نرحب بك، ونسألك أن تحدثنا كيف أصبحت شيوعيا؟.

أنا من مواليد قرية كريزيل ناحية تل براك بمحافظة الحسكة عام 1943 في عائلة شيوعية، فأعمامي، وإخوتي الأكبر مني سناً (يحيى حاجي، وشلال، وحسين عمرو) أعضاء في الحزب، وبتأثيرهم وبخاصة في أجواء انتخابات عام 1954 التي خاضها الرفيق خالد بكداش في دمشق، والرفاق جكر خوين وإبراهيم بكري وصديق الحزب فؤاد قدري في الجزيرة، وجدت نفسي وسط نشاط الرفاق، فبدأت أدرك شيئاً فشيئاً الخطوط العريضة لنضال الكادحين ضد الاستغلال والظلم، وبدافع وطني وطبقي تقدمت بطلب انتساب للحزب عن طريق الرفيق الطيب أحمد شيخو، وتم قبولي عام 1956 عضواً في فرقة يقودها الرفيق محمد سعيد قسام وهو من جبلة، لأبدأ دربي الطويل مع نضال الرفاق وحتى هذا اليوم.

وبعودة سريعة إلى شريط الذكريات أتذكر بوضوح تام نضال الحزب ومعاركه الوطنية والطبقية، وعندما تعرض الحزب لحملة قمع وحشية عام 1959 كلفتني قيادة منظمة الجزيرة عن طريق سكرتيرها الرفيق رمو شيخو (أبو جنكو) بالذهاب للحسكة متفرغا للعمل الحزبي السري (براتب وقدره ثلاثون ليرة)، وعملت مع الرفاق ملا رشيد وإلياس مرحو وعيسى ملك، وقبيل الانفصال عام 1961 بعشرين يوماً قررت المنظمة نقلي للعمل في مدينة القامشلي، وهناك صرت عضواً في اللجنة المحلية فيها مع الرفاق ديبو ونيشان ويوسي وبإشراف الرفيق ملكي عيسى. وفي بداية حكم الانفصال حضرت الاجتماع الموسع لاتحاد الشباب الديمقراطي في سورية بمدينة دمشق، وانتخبت عضواً في اللجنة التنفيذية للاتحاد ومسؤولاً عن منظمة الشباب في منطقة الجزيرة بإشراف الرفيق صبحي أنطون عضو اللجنة المنطقية، وفي أحد الاجتماعات عام 1963 داهمتنا قوة من الأمن في الحارة الغربية بالقامشلي واعتقلت عدداً منا، وهرب البقية، وتعرضت أنا والرفيق سليم معمو للتعذيب لمدة شهر في مركز الأمن بالقامشلي، ثم قدمنا لمحكمة أمن الدولة في دير الزور، وحكم عليّ بالسجن لمدة عام.. كما تعرضت للتوقيف عدة مرات لفترات قصيرة، وفي عام 1967 تزوجت الرفيقة كولجهان رشيد التي شاركتني الحياة حلوها ومرّها، وساهمت معي في كل المهمات الحزبية وخاصة السرية. وفي عام 1968 التحقت بالمدرسة الحزبية العليا في موسكو لمدة عامين، وبعد عودتي إلى الوطن كلفت بالعمل ضمن جهاز القيادة في دمشق لمدة أربع سنوات متنقلاً بين أحيائها من مساكن برزة إلى المهاجرين، ثم كلفتني القيادة بالعمل مع منظمة الحزب في اللاذقية وبقيت فيها مدة سبع عشرة سنة، كما عملت مع الرفاق في إدلب وطرطوس، وفي المؤتمر السادس للحزب انتخبت عضواً في اللجنة المركزية، وفي المؤتمر السابع انتخبت عضواً في المكتب السياسي وأقمت في دمشق.

وقد عشت ظروف الانقسامات التي زلزلت كيان الحزب وحجمت دوره، والتي مازلنا نعاني آثارها المؤلمة، والأمل كبير بالتصدي لها، والثقة لدى معظم الرفاق أكيدة بإنهائها بجهد الجميع، وهنا اسمحوا لي من خلال هذه الزاوية أن أحيي كل الساعين لوحدة الحزب، وفي الوقت ذاته أوجه صادق التحية والاحترام إلى جميع الرفاق والرفيقات الذين عملت معهم في كل المحافظات، وأرجو المعذرة عن أي خطأ يمكن أن أكون ارتكبته، كما أتوجه بالتقدير إلى كل من أسهم ببناء لبنة في صرح الحزب وأذكر منهم الرفاق والرفيقات رشيد كرد وملا رشيد وعبدي يوسف وملا سليمان ورفاعي وصالح علي ونذير عبد القادر وأحمد حاج عباس وعلي دوكو وملكي عيسى وعثمان إبراهيم وحسين عمرو ومارين سروة، ولا أنسى دور الآباء والأمهات والأهل الذين كانوا بحق سياجاً للرفاق في الأوقات العصيبة.

مازلت أتابع النضال مع رفاقي في اللجنة الوطنية لوحدة الشيوعيين السوريين في مهمتهم النبيلة، وأدعو جميع الشيوعيين أينما كانوا للنضال معاً من أجل الوحدة، حتى يستعيد حزبنا الشيوعي دوره الوطني والطبقي المنوط به.

ولا بد لي –كوني شيوعياً قديماً – من أن أنبه إلى بعض الأخطاء التنظيمية التي كانت تحدث في حزبنا: ضعف القيادة الجماعية وخاصة دور الهيئات – ضعف الديمقراطية الحزبية – تقديم الكادر أحياناً ليس على أساس الكفاءة والإخلاص والمبدئية، بل على أساس القرب من هذا الرفيق القيادي أو ذاك – النظر للكادر المتفرغ كعامل مياوم غير مثبت وليس كمناضل.. آملاً أن يسعى الجميع للتخلص منها في الفترات القادمة..

وأخيراً، أشكر صحيفة قاسيون التي أفسحت لي المجال لأتحدث إلى رفاقي الشيوعيين.

■ إعداد محمد علي طه

سورية ليست للبيع /3/

◄ **يوسف البني:**

إلى هذه الدرجة وصل بهم الأمر من الاستخفاف والاستهتار بالشعب ومكتسباته، فبعد أن حافظ قطاع الدولة على مدى عقود على الممتلكات العامة، ولو شكلياً وبنسب متفاوتة، ومع أنه تم تشجيع ظاهرة الفساد بشكل مقصود، حتى انتشرت واستشرست كمرض سرطاني عصي على العلاج، واستغل كل ذي منصب موقعه لتسخير المال العام لخدمة مصالحه الخاصة، ثم نهب ما تبقى منه دون معاقبة أو مراقبة، إلا أن مكاسب القطاع العام بقيت ملكاً للشعب ولو شكلياً كما أشرنا . إلا أنه وبعد تسليم زمام الأمور وتخطيط اقتصاد البلد لهذه الفئة الليبرالية، اللاهثة للحاق بركب العولمة واقتصادها المتوحش، والتي همها التخلص من بقايا هذا القطاع الهام الذي يحمي ويطعم السواد الأعظم من شعبنا، وبعد سلسلة الإجراءات الإجرامية بحق الشعب التي لم تؤد إلا إلى إفقاره وتجويعه، طرحت بقايا ما يملكه إلى وحوش الاستغلال والاستثمار، في مشاريع خدمية ترفيهية، لا إنتاجية تنموية، يكون فيها الشعب في بلده خادماً غير مخدوم، وعبداً لفئة قليلة تستأثر بتكديس العائدات لحساباتها ومصالحها الخاصة.

كانت «قاسيون» فد نشرت في العددين /361/ و /363/ ما طرحته الحكومة للاستثمار من منشآت عامة ومبان تابعة لوزارات وإدارات الدولة، وهي ملك للشعب حصراً، في محافظات دمشق وريف دمشق والمنطقة الوسطى والشمالية، ونورد هنا ما (تبيعه) في المحافظات الساحلية ونوع المشاريع المقامة عليها .

وقد تضمنت شريحة العرض الاستثماري الأول في المناطق الساحلية المواقع التالية:

المحافظة	الموقع المطروح للاستثمار
اللاذقية	موقع وادي قنديل / منطقة تطوير سياحي كبرى
	موقع العيسوية / منطقة تطوير سياحي كبرى
	موقع برج إسلام
	موقع صليب التركمان 1
	موقع صليب التركمان2
	موقع أم الطيور العقارات 1297- 1298
	موقع المجمع السياحي في الكورنيش الجنوبي .
	مشروع سفينة نوح
	فندق القرداحة
طرطوس	لؤلؤة عمريت. جزر الحباس / منطقة تطوير سياحي كبرى
	العقار / 1758 / مشتى الحلو
	العقار / 782 / القمصية
	موقع مشروع القدموس العقار 126
	الخراب –العقارين 482- 483

أما شريحة العرض الاستثماري الثاني فقد تضمنت ما يلي:

المحافظة	الموقع المطروح للاستثمار
اللاذقية	مشروع أوغاريت السياحي كورنيش المدينة الرياضية منطقة تطوير سياحي متكاملة
	موقع المجمع السياحي في المنطقة السياحية الجنوبية
	الفندق السياحي – الحفة
	مشروع مؤسسة الاتحاد العربي للتنمية الزراعية
طرطوس	مغارة بيت الوادي
	مشروع بانياس القطاع الشمالي
	مشروع بانياس القطاع الجنوبي
	موقع الجزء الجنوبي من الكورنيش البحري
	موقع العقار 503 منطقة المتن العقارية
	موقع المجمع التجاري. العقار 7442

ويبين الجدول التالي نوع الاستثمارات المطروحة في المحافظات المذكورة:

المحافظة	اسم الموقع	نوع السياحة: بيئية	علاجية	ترفيهية	رياضية	ثقافية	تسوق	مؤتمرات	شعبية	مستوى التصنيف
اللاذقية	موقع وادي قنديل منطقة تطوير سياحي كبرى	×	×	×	×		×			قرى سياحية وفنادق وشقق فندقية بمختلف المستويات
	موقع العيسوية / منطقة تطوير سياحي كبرى /	×		×	×	×	×		×	قرى سياحية وفنادق وشقق فندقية بمختلف المستويات
	موقع برج إسلام			×	×		×			فندق 5 نجوم. شاليهات 4 نجوم
	موقع صليب التركمان (1)		×		×					فندق 5 نجوم. شاليهات 3 نجوم
	موقع صليب التركمان (2)			×	×			×		فندق 4 نجوم. فندق إقامة 3 نجوم
	موقع أم الطيور العقارات 1297- 1298			×	×				×	شاليهات شعبية 2 نجوم
	المجمع السياحي في الكورنيش الجنوبي			×		×	×			فندق 4 نجوم
	مشروع سفينة نوح			×				×		فندق 4 نجوم. بنغالوه 4 نجوم
	فندق القرداحة									فندق 3 نجوم
طرطوس	مشروع لؤلؤة عمريت. جزر الحباس / منطقة تطوير سياحي كبرى /	×		×	×		×	×		فندق 5 نجوم. فندق إقامة 5 نجوم فندق 4 نجوم. بنغالوه 4 نجوم
	العقار رقم / 1758 / مشتى الحلو	×	×							فندق 4 نجوم
	العقار رقم / 782 / القمصية	×	×	×	×	×			×	فندق 4 نجوم. فندق إقامة 4 نجوم
	موقع مشروع القدموس العقار رقم /126/			×			×			فندق 3 نجوم
	العقارين رقم / 482 . 483/ الخراب			×						فندق 3 نجوم

نعم هذا صنيع رموز الفساد، المتاجرين بخيرات البلاد ورزق العباد، الناهبين تراث الآباء والأجداد، ولكن إذا جد الجد وقضي الأمر، فسيكون الشعب لهم بالمرصاد . ■■

نداء استغاثة.. لمن نوجهه؟

◄ **اسماعيل حسني العبد الله**

السادة رئيس الاتحاد العام للفلاحين، وزير الزراعة، وزير الري:

كونكم المعنيين بمعاناة آلاف العائلات التي تعيش على الآبار الكائنة في منطقة الاستقرار الخامسة «البادية» ومشكلتهم مطروحة أمامكم منذ عدة أعوام. هذه الآبار التي حفرت بتشجيع من الدولة عندما احتجنا للمؤازرة أيام الثمانينات حين لم يتبق لدينا من القمح ما يكفي سوى لتشغيل أفران دمشق أياماً معدودة. وبعد أن منَّ الله علينا بالعطاء الجزيل، ضربنا بهذه الآبار وبأفضالها وبالقائمين عليها عرض الحائط! وبذرائع كانت مرة؛ هذه بادية.. وأخرى؛ هذه مراع.. وثالثة؛ فلنحافظ على الثروة المائية.. ورابعة.. وخامسة.. وهكذا ..! في كل عام تتكرر المأساة، فتارة تمنع هذه العائلات من الزراعة وأخرى يسمح لهم بها، ولكن بعد فوات الأوان... الخ.

لديكم حتماً معلومات كافية عن عدد العائلات المقتاتة على هذه الآبار والتي لا مورد لهم سواها . أتعلمون أيها السادة أين أغلب هذه العائلات الآن؟ إن كنتم تعلمون فتلك مصيبة وإن كنتم لا تعلمون فالمصيبة أعظم. إنهم الآن إما في لبنان ويعملون في أعمال لا تليق بالمواطن السوري، ومعروفة لدى الجميع، وعانوا الأمرين عند أحداث لبنان الداخلية الأخيرة؛ وإما أنهم نزحوا إلى دمشق وريفها ودرعا ليقطنوا في مخيمات شبيهة بمخيمات الغجر، فأصبحوا يعرفون اليوم بـ«غجر المنطقة الشرقية».

هجر أولادهم المدارس وتحولوا إلى أميين عاطلين عن العمل منقادين وراء (.....)؟!

تعرفون ما الذي ينتجه الجوع والبطالة، بالله عليكم هل يرضي هذا ضمائركم؟!

كم من لجنة شكلتموها لحل معاناة هذه الفئة؟ كم توجيهاً من القيادة السياسية صدر بضرورة معالجة وضعهم؟ ألم يصرّح أعضاء القيادة القطرية عند زيارتهم للمحافظات في السنة الماضية بأن معاناة هذه الشريحة وحل مشاكلهم قد اتخذت بها القرارات اللازمة ولا داعي للبحث بها؟ ألم تنشر جرائدنا منذ ما يقارب الثلاثة أشهر بأن مجلس الوزراء اتخذ قراراً بترخيص الآبار غير المرخصة واستبشر أهلها خيراً؟ ألم يوجه السيد الرئيس، ويُلحّ، أثناء زيارته لمحافظة الحسكة بضرورة الإسراع بحل معاناة هذه الشريحة وجعلها موضع اهتمام؟

لم ينفذ شيء مما قيل، ظننا بكم أنكم تقولون وتفعلون، ولا تكتفون بالقول وحده!

أإلى هذا الحد يستهان بشريحة معطاءة من المجتمع تعدادها عشرات الآلاف من اليد المنتجة والتي تحولت إلى ما أسلفناه؟!

بالله عليكم، هل عمّرنا البادية أم دمرناها؟ هل بنينا المدارس لنعلم أبناءنا، ثم ليهون علينا خلوها بعد أن هجروها (الأبناء)؟ هل غايتكم المحافظة على الثروة المائية؟ كان الأولى والأجدر بكم المحافظة على الثروة البشرية أولاً، ومن ثم المحافظة على الثروة المائية!

الثروة البشرية في هذه المنطقة عانت الأمرين، وما زالت تستغيث، ولا حياة ولا أذن صاغية لمغيث! توهمونهم بأنكم استجبتم لهم وأعطيتموهم كيس طحين لكل عائلة مع قنينة زيت تكفيهم لمدة خمسة أيام، بالله عليكم هل هذا هو الحل؟!

هؤلاء هم أبناء البلد وعماد فئة منتجة ومعطاءة عند الشدائد، أليست «اليد المنتجة هي اليد العليا في دولة البعث» أيها السادة المعنيون؟!

الحديث ذو شجون، وعانت سورية ما عانته هذا العام من موسم جفاف وشح في الموارد الزراعية، وتصرّف غير مقبول بالمخزون الاستراتيجي الذي ما كان له أن يصدّر، وأنتم أدرى بظواهر الأمور وبواطنها .

والآن أوشك موسم 2009 على الحلول، فهل تلتفتون بجدية وموضوعية لمعالجة مشاكل هذه الشريحة، أم ستستمرون بتجاهلها وجعل وضعها المزري يزداد سوءاً على سوء؟!

كلّ مسؤول يلقي بالمسؤولية على آخر، ونقول إن الكل مسؤول ومعني بالأمر ولا معذرة لأحد أمام الله والتاريخ إزاء ما تعانيه هذه الشريحة.

الكلام كثير في هذا المجال ووضع الأهالي لم يعد يحتمل فقد وصلت أمورهم لأكثر من كارثية، فأغيثوهم وأنجدوهم وأنصفوهم، لأنكم، إن نسيتم، من أوقعهم في ما بات يسمى «ورطة البادية».

ما البدائل لديكم وما الحلول، هل ستتركون الوضع على ما هو عليه؟!

■■

شبكة هاتف «مخيم النيرب» خارج العصر

يتفق الجميع على أهمية ودور وسائل الاتصال في العصر الحالي من حيث اختصار الوقت وحل المشاكل العلمية والفنية، إذ أصبح بالإمكان إصلاح آلات الإنتاج المعقدة عبر وسائل الاتصال، وقد وصلت أهمية شبكة الأنترنت لدرجة بات بالإمكان إجراء عمليات جراحية بواسطتها، ورغم ذلك كله فإن خدمة الهاتف السلكي البسيطة ليست في متناول جميع أهالي مدينة حلب الشهباء.

إن كلفة إنشاء شبكة اتصالات حديثة تنحصر في بناء الهيكل السفلي الذي يتألف من كابلات وحاكمات كهربائية وأبنية، أما كلفة المواد الأولية المستهلكة فهي في حدودها الدنيا، وهي عبارة عن استهلاك بسيط للطاقة الكهربائية وأعمال الصيانة والإصلاح، لذلك فإن أرباحها خيالية، وهذا ما يفسر تهافت الرأسمال الطفيلي على الاستثمار فيها .

مع ذلك يعاني أهالي مخيم النيرب من سوء حال شبكة الهاتف المحلية، حيث تتداخل الخطوط بشكل مستمر، بالرغم من قلة عدد الأرقام المخصصة للمخيم، وأهالي المخيم يطالبون مؤسسة الهاتف بالاهتمام الجدي بمشاكل المخيم الهاتفية.

كما تستفحل مشكلة الخطوط الهاتفية في أحياء المخالفات لدرجة تصبح مفاهيم مثل (الانترنت والفيس بوك) طلاسم بالنسبة لشباب هذه الأحياء الذين هم خارج العصر الحالي. إن حل أية مشكلة تواجه هذه الأحياء مثل طلب إسعاف أو إطفاء الحريق يحتاج إلى بذل جهود غير عادية لإجراء اتصال مع جهة رسمية.

في بعض الحالات لا يتطلب أمر حل المشكلة إلا جهوداً بسيطة، فمثلاً في حي الأشرفية، هناك شارع مخالفات جانب جامع الاستقامة تم تمديد شبكة خطوط هاتفية له منذ أكثر من خمس سنوات، لكن إلى الآن لم ترن سماعة أي من المشتركين، والحجة عدم وجود أرقام!! وتتكرر المشكلة في حي الصالحين أمام جامع السلام، إذ تم تمديد شبكة منذ زمن ليس بالقصير وحتى الآن لم يستخدمها أهالي الحي، والأسباب مجهولة.

هل يعقل أن تبقى خدمة الهاتف حلماً لمواطنينا في هذا العصر، الذي يطلق عليه عصر ثورة الاتصالات؟؟!

■ **رياض اخضير - حلب**

العطش يطال جيران الفرات أيضاً !!

◄ **زهير مشعان**

... من يتصور كميات المياه الكبيرة التي تضيع هدراً من نهر الفرات؟! ومن يتصور أن عدداً كبيراً من المواطنين الذين يعيشون على ضفاف هذا النهر «عطاش»، في الوقت الذي تستعد فيه كثير من الدول لحل مسألة الأمن المائي، وتشن حروباً من أجل ذلك..

... قد يبدو هذا الكلام مثيراً.. وربما غير قابل للتصديق.. لكن الوقائع تبين مدى المعاناة الكبيرة للمواطنين.. وقد نتقبل أن المواطن في دمشق وريفها يعاني من شح المياه، والسبب طبعاً ليس «الطبيعة» والجفاف، كما يحاول كثير من المسؤولين تبرير ذلك، وإنما الاستجرار العشوائي للمياه إلى آبار مزارع الكبار، وكبار الكبار، ومن حولهم..ولكن على نهر الفرات.. تختلف المسألة..

ولا شك أن بدء مشروع جر مياه الفرات إلى نهر قويق في حلب خطوة إيجابية جاءت بعد مطالبات عديدة.. لكن من حقنا أن نتساءل: لماذا لا يصغي المسؤولون إلى المطالبات المتكررة و المستمرة منذ سنوات لتغذية نهر الخابور من مياه نهر الفرات، لإحياء عشرات القرى،وتلبية الحاجات المائية لآلاف المواطنين، والأراضي الزراعية. ومنذ سنين أيضاً تستمر دون جدوى المطالبات بجر قناة مائية في بادية الفرات، على نمط قناة حمص وحماة، لري مئات آلاف الهكتارات من الأراضي البكر، والتي لو استثمرت لحققت ليس أمننا الغذائي فقط، وإنما لكان الفائض من إنتاجها كبيراً، يعادل النفط وأكثر، ولاستطعنا إيجاد فرص عمل لآلاف المواطنين. لكننا لا نستغرب ذلك من الطاقم الاقتصادي ومن وراءه، والسياسة الاقتصادية المتبعة.

إن الوضع في محافظة دير الزور يعجُ بالمفارقات الغريبة العجيبة. منها أن أهالي حي «الجدمة» في قرية البغيلية، وهي من ضواحي مدينة دير الزور، والبالغ عددهم حوالي 300 مواطن، يحلمون أن تصلهم المياه، ومنهم من يظل ساهراً طوال الليل ينتظرها، وقد مضى عليه أكثر من عشرة أيام وهو على هذه الحالة. رغم أن المحطة الرئيسية لتصفية مياه دير الزور غير بعيدة.. ورغم شكاويهم.. ورغم توسط أحد المسؤولين السياسيين في المحافظة، الذي أجابه مدير مؤسسة مياه دير الزور: (تابعنا، والمياه واصلة)، وقد قال لنا أحد المواطنين: (يومياً أسهر وأنتظر، لكن «قربة» مؤسسة مياه دير الزور مقطوعة، مهما نفخت فيها لن تحصل على نتيجة، فأضطر لشراء المياه من الصهاريج بمبلغ 500ل.س، وهي مياه غير صحية ومليئة بالطحالب.. لكن ماذا أفعل، هل أعود إلى الاستعانة بحماري للحصول على الماء من نهر الفرات؟ وحتى لو فعلت ذلك، فمياه النهر بلغت من التلوث حداً لا يمكن أن تصلح معه حتى لسقاية المزروعات والحيوانات. هل علينا أن نرفع مطالبنا إلى مسؤولين أكبر.. أو علينا اللجوء إلى أساليب غير قانونية، وغير أخلاقية.. وهذا مايبدو أننا ندفع إليه، لإفساد من بقي منا ..)

فهل سيسمع محافظ دير الزور، وغيره من المسؤولين ذلك، أم أن مطالبنا ستذهب هباءً، كأننا ننفخ في قربة مقطوعة.. كما يقول لنا البعض.

رغم ذلك سنبقى نطالب بحقوقنا .. ولن يضيع حقٌ وراءه مطالب، فالمطالبة لها أشكال متعددة، ولا تقتصر على رفع العرائض، والكتابة في الجرائد، وهي على كل حال ليست مجرد نفخ في قربة مقطوعة كما يعتقد البعض.. ليعفّوا أنفسهم من المسؤولية، أو لأنهم وقعوا تحت سيطرة اليأس. ■■

الحكومة تصطاد صيادي الأسماك!

◄ محمد سلوم

هل فكرت الحكومة عندما اتخذت قرار رفع أسعار المحروقات، بالآثار السلبية الاقتصادية، ومن ثم الاجتماعية والنفسية التي تتعرض لها الفئات الاجتماعية المنتجة جراء قرار كهذا؟ هل أخذت بعين الاعتبار أحوال الشرائح التي يتوقف مستوى دخلها على سعر المحروقات؟

إن من أكثر الفئات الاجتماعية التي تستحق الدعم في عملية إعادة توزيع الدعم، هي صيادو الأسماك والمزارعون ومربو الدواجن، لكن بكل أسف لم تُراعَ مصالح هؤلاء لا من قريب ولا من بعيد.

حسناً فعلت الحكومة عندما دعمت بعض الفئات الاجتماعية المنتجة بالسعر المدعوم للمازوت كالأفران، وزيادة تسعير النقل للسيارات العاملة على المازوت، رغم أنها جاءت قاصرة، أما زوارق صيد الأسماك على امتداد الساحل السوري التي يخضع محصولها لعملية العرض والطلب وللمنافسة القوية من الأسماك المستوردة، فلم تتلقَّ أي دعم، لذلك يبقى إنتاج الأسماك في الساحل السوري إما شعبياً ولا يغطّي كلفة إنتاجه، أو يجد تصريفه في الفنادق والمطاعم السورية، بين الحين والآخر.

الشاطئ في طرطوس

إن الشاطئ الممتد من الحميدية وعرب الشاطئ حتى أرواد وتخوم بانياس، أصبح أرضاً ملوثة وجرداء نتيجة الصيد الجائر على مر السنين، وخاصة مع استعمال وسائل وأدوات الصيد المؤذية كالديناميت، فهذا الأسلوب من الصيد قضى على البيوض والأسماك الصغيرة، ولوث قاع البحر، وألحق أضراراً بالغة بالإسفنج والأعشاب البحرية التي كانت مرتعاً خصباً لحضانة البيوض والأسماك الصغيرة، وبالتالي تم تدمير كل أنواع المخلوقات التي كانت تعيش قرب الشواطئ، ومنها السلاحف التي كانت بفعل التوازن البيئي الكائن البحري الذي تحمي شواطئنا من قناديل البحر، وهكذا اختفت الأسماك، والأعشاب البحرية انقرضت، والسلاحف والإسفنج لم تعد موجودة، وبقيت قناديل البحر السامة تجوب شواطئنا خلال فترات طويلة من الصيف، مما أجبر صيادي الأسماك، وخاصة في أرواد، على الصيد في أماكن أكثر عمقاً وأكثر بعداً، وبالتالي أكثر خطورة على حياتهم، ومنهم من بات يسافر بالبحر مسافة ساعتين ذهاباً وساعتين إياباً، ومعظم الأحيان ليلاً، وهذا هو مربط الفرس..

فحسب العريضة التي رفعها صيادو الأسماك في الساحل السوري إلى رئيس مجلس الوزراء، فإن أي زورق صيد يستهلك ما يقارب من / 20 – 40/ ليتر من المازوت يومياً، إضافة إلى ثمن مادة الطعم وأدوات الصيد، وكأية آلة أخرى من أعمال الصيانة والزيوت وغيرها، ومن تقاليد الصيد توزع الحصص على الشكل التالي:

للزورق حصة- وشباك الصيد حصة – وكل صياد عامل على متن الزورق حصة – وبعض الزوارق يصل عدد الحصص عليه إلى سبع، أي تتعايش على منتوج هذا الزورق سبع عائلات، وحسب إحصاء جمعية الصيادين يوجد (1850) زورقاً نظامياً، وعدد العاملين وسطيا على كل زورق لا يقل عن ثلاثة، وبالتالي يكون عدد العاملين في مجال الصيد البحري حوالي من 5500 – 6000 عامل، وهؤلاء يعيلون ما لايقل عن /5000/ عائلة، وهذا دخلهم الوحيد، لأن صياد السمك لا يعرف بعرف المهنة والمزاج إلا هذا العمل.

وحسب إحصائيات الجمعية فإن كمية المازوت المستهلكة يومياً للزوارق لا تقل عن 50000 ليتر من المازوت، وإذا ما قسمنا هذه الكمية على عدد الزوارق يكون قد تضرر كل صياد بين –450 500 ل.س يومياً، وبالتالي يكون المبلغ الإجمالي الذي تضرر به الصيادون: 450 × 1850 = 832500 ل.س.

وإذا كان عدد أيام العمل السنوية بحدود 200 يوم، يكون الضرر السنوي على زوارق الصيد: 200 × 832500 =166500000 ل.س (مائة وستة وستون مليون وخمسمائة ألف) ليرة سورية لا غير.

يقول الصيادون: لو أن البحر يعطي غلاله لكان هناك تعويض عن خسائرنا، لكن الصيد قليل، والتعب والتكلفة كبيران، وهذا ما أوجد في نفوسنا خوفاً وقلقاً على مستقبلنا ومستقبل أولادنا، خاصة أنه لا توجد في جمعياتنا نظام نقابات الدولة من تقاعد وصندوق الضمان الاجتماعي وغيره، وجل مطالبنا إعطاؤنا مازوتاً بالسعر الذي سيوزع حسب قسائم المازوت المدعوم..

إن صيادي الأسماك من أكثر الفئات الاجتماعية المنتجة في سورية تعرضاً للمخاطر، وهذا ناشئ عن طبيعة البحر، والتعامل مع حيوانات بحرية تدمر أحياناً الشباك وتعرضهم إضافة للعوامل الجوية السيئة إلى أضرار جسيمة. وكم تكون خيبة الأمل كبيرة بعد السفر ليلاً لساعات طويلة ومن ثم العودة بلا صيد يذكر صباحاً..

فلم لايتم التنسيق مع جمعية صيادي الأسماك، وكل زورق يعمل ضمن الشروط النظامية، يمنح كمية من المازوت بالسعر المدعوم، حتى لا نجد طوابير أخرى من العاطلين عن العمل، ولا تزداد شريحة الفقراء في سورية.

فلنحم هذه الفئة النشيطة وذات الخبرة العالية التي تخاطر بحياتها من أجل لقمة العيش.

■■

ويسألونك عن تخبّط السياسة النقدية!؟

نصّ القانون الأساسي للعاملين في الدولة على عدم التمديد للعامل الذي أتم سن /60/ إلا في حالات الضرورة، وكذلك عند إتمامه سن الـ/65/ كخبير، إلا في حالات الضرورة أيضاً، ولكن ما يحصل في مصرف سورية المركزي حالياً من تمديد مستمر لأعضاء هذه الإدارة كخبراء مع منحهم حق التوقيع رغم إتمامهم سن /65/ (أعمارهم تناهز /70/ عاماً وبعضهم يزيد عن ذلك)، وسعي السيد الحاكم الحثيث والدؤوب للتمديد لهم وإبقائهم على رأس عملهم مع حق التوقيع دون تأهيل البديل عنهم من داخل المصرف أو التكليف من خارج المصرف، كل ذلك بات يطرح عدة تساؤلات حول حاكم المصرف، لإيقاف هذا التحايل على القانون، بذريعة أنه لا يوجد البديل المناسب، وأن المجازفة ستعرض المصلحة العامة والاقتصاد الوطني واستقرار سعر الليرة وغير ذلك، للخطر الجسيم والبالغ؟!:

1 ـ أين الكوادر التي يؤكد السيد الحاكم حرصه الدائم على تدريبها وتجهيزها وتأهيلها منذ مجيئه للمصرف عام 2005، ليقوم باستبدال هذه الإدارة المترهلة (الجهابذة) كما كانت تسمى في بعض وسائل الإعلام قبل مجيء الحاكم للمصرف؟!.

2 ـ الكشف عن السبب الحقيقي لتمسك الحاكم بهذه الإدارة وإلحاحه على تمديد خدمتها مع منحها حق التوقيع؟!!.

3 ـ هل الحاكم معجب كثيراً بأداء هذه الإدارة التي أثبتت فشلها التام طيلة فترة التمديد لها خلال الأعوام السابقة، وعجزت عن تنفيذ خطط الموازنة الموضوعة للمصرف من مشاريع استثمارية وغير ذلك، حيث بلغ تنفيذها لخطط الموازنة مستويات متدنية وخجولة ومضحكة، عدا عن المناقلات الكثيرة التي تمت بين بنود الموازنة بسبب التخبط والفوضى وعدم التقدير الجيد من هذه الإدارة؟

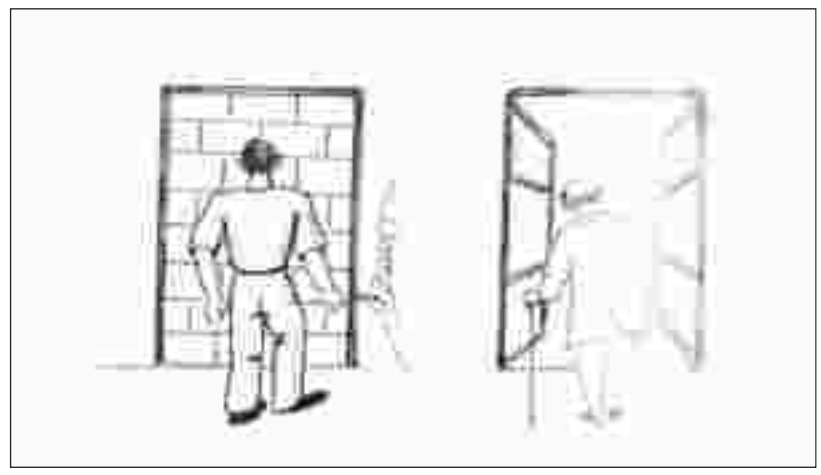

4 ـ هل يعلم الحاكم ومعه لجنة إدارة المصرف المركزي الممدد لها، أنهم عندما يحجزون مئات الملايين من الليرات السورية كاعتمادات للمصرف (مشاريع ونفقات استثمارية وموازنة إدارية وغير ذلك)، وعندما يتقاعسون ويفشلون بتنفيذ خطط الموازنة، يكونون قد ألحقوا الضرر مرتين: الأولى بحق المصرف بحرمانه من تطويره وتحديث بنيته التحتية، وكذلك تأهيل وتدريب العاملين فيه بشكل موضوعي وجيد ليكونوا النواة الأساسية في مواكبة تطور العمل المصرفي الهائل والمنافسة الشديدة. والمرة الثانية التسبب بحرمان الدولة من الاستفادة من هذه المبالغ بتنفيذ مشاريع ضرورية في مكان آخر تعود بالنفع على الدولة والمواطن. أما إذا كانت لجنة إدارة المصرف المركزي مسرورة ومرتاحة باستمرار التمديد لهم وبقائهم على رأس عملهم رغم هذا الفشل، فهنا تكمن المصيبة الكبرى.

5 ـ لماذا يرفض الحاكم استبدال هذه الإدارة وتفعيلها بكوادر شابة ذات كفاءات علمية واقتصادية عالية، كي تساهم معه في تطوير المصرف نحو الأفضل، دون شعور هذه الكوادر بأي ضغط، أو الحاجة لمراضاته، ويكون مؤشر عملها الحقيقي، عند اتخاذها القرارات في هذه المؤسسة، المصلحة العامة فقط، بدلاً من وقوف لجنة الإدارة الحالية مشلولة عاجزة دون حراك من أجل مرضاة الحاكم ليوافق على التمديد التالي لها، ما يؤدي فعلياً إلى استفراد الحاكم وسيطرته التامة على قرارات اللجنة، وقبول هذه اللجنة بهذه القرارات مرغمة ومهما كانت نتائجها!! علماً أن الوطن مليء بالكوادر والطاقات العلمية والاقتصادية الكبيرة، وباستطاعة هذه الكوادر أن تحل مكان هذه الإدارة، وأن تقدم أداء أفضل منها بكثير.

6 ـ هل غفل الحاكم، عاقد النفقة في مصرف سورية المركزي، والمؤتمن على أموال هذه المؤسسة ومعه لجنة إدارته، أن الاستقلال المالي والإداري، الذي قرروا العمل به بداية عام 2008 يوجب إحداث مديرية مالية في الإدارة العامة وتعليمات تطبيقية مصدقة من الجهات اللازمة، بحيث توضح وتضبط آلية وكيفية صرف الأموال العامة وتحدد المهام وطبيعة الأشخاص الذين ستسند لهم هذه المهام، من أجل تحديد المسؤولية في حال ارتكاب أية مخالفة أو إلحاق أي ضرر بالمال العام، وذلك عند صرف الملايين من الليرات السورية من الأموال العامة، حيث تتم هذه الإجراءات حالياً بغياب التعليمات التطبيقية، وعلى مبدأ (مشّي الشغل؟!) وبشكل عشوائي وارتجالي، وتخضع للاجتهاد الشخصي الشفهي.

7 ـ هل يعقل أن يتم توزيع مكافآت أرباح المصرف بشكل سري للغاية وبشروط ومعايير يضعها السيد الحاكم كيفما ومتى يشاء وقد تم الاعتراض من عدد من العاملين وبعضهم أعاد هذه المكافآت، وكذلك مؤخراً تم تقييم أداء العاملين في المصرف فيما يخص الحوافز الإنتاجية بشكل سري؟! علماً أن الحوافز الإنتاجية هي حق للعاملين في القطاع المصرفي لتحفيزهم، ومن المفروض أن تكون المكافآت والحوافز معلنة وبشكل واضح لتسليط الضوء على العاملين المميزين ولتحفيز العاملين المقصرين ليبذلوا المزيد من الجهد والعمل ليكونوا كغيرهم من المميزين، لا أن يسود الشعور بالظلم والقلق والريبة.

■■

أهالي مدينة حلب وسط دوامة جنون الأسعار

عُرفت مدينة حلب دائما في العرف الشعبي بذلك اللقب المحبب والمتداول «أم المحاشي والكبب»، فمطبخها غني وعريق بأشهى المأكولات، وقد كان لكل فئات سكانها فيما مضى نصيب من هذا المطبخ. ولكن سرعان ما تغيرت الأوضاع، فلم يعد الناس قادرين على تأمين لقمتهم ولقمة عيالهم، فقد تمت سرقة هذه اللقمة من عدد من الطفيليين الفاسدين، وهذا الواقع ينطبق على أغلبية الشعب السوري.

كان هناك نوع من المعكرونة الحلبية المدعومة من الدولة، شاع استهلاكها بين الفقراء، بسبب سعرها المعقول، واليوم أصبحت عصية عليهم، إذ ارتفع سعرها من 30 ل.س للكيلو إلى 60 ل.س. أما الزيت النباتي من ماركة الشهباء، وهو من إنتاج الدولة، فقد قفز سعره من 45 ل.س إلى 100 ل.س للتر. أما البازلاء والبامية، المونة التقليدية لأصحاب الدخل المحدود، فقد بدأت بالغياب عن بيوت الفقراء. ومادة الأرز، انطبق عليها المثل الشعبي (العز للرز) حيث وصل سعرها إلى 90ل.س، أما البرغل الذي (شنق حاله)، فقد تم إعدامه مع العدس وكل الحبوب والبقوليات الأخرى. سعر الحليب ومشتقاته أرتفع بشكل جنوني غير مسبوق، أما الفواكه فقد تحولت إلى لوحات جميلة موضوعة على رفوف المحلات الفارهة، وأصبحت كالعملة النادرة بالنسبة للفقراء، يكتفون بمشاهدتها من بعيد. هذا هو واقع كل المواد الغذائية، التي سيطول الكلام عنها كثيراً، لو أننا استعرضناها واحدة واحدة.

رب العائلة يعيش الألم والحرمان، وليس بيديه حيلة، لعدم امتلاكه للقوة الشرائية، فهو ينطلق صباحاً إلى الأسواق الشعبية، ويشاهد الأسعار الخيالية، ويتجول بالسوق يميناً ويساراً، لعله يستطيع شراء ما يحتاجه بالحد الأدنى، فلا يجد أمامه سوى الفتات والبقايا من الخضار، التي يحصل على بعضها بأسعار مخفَّضة، وهي التي كانت ترمى بعبوات القمامة في السابق، أما اليوم مع هذا الغلاء الفاحش المتوحش فقد أصبحت ذات قيمة، علماً بأن معظمها لا يصلح كغذاء للإنسان.

الجماهير في حلب بدأت تنوء تحت وطأة هذا الوضع، فهي لأول مرة منذ عقود طويلة تجرب الجوع، وعواقب هذا الوضع ستظهر حتماً في المدى القريب والمنظور، بعد أن بدأت السياسة الاقتصادية تمتص أبسط عوامل الاستقرار الاجتماعي، فما الذي يخبئه لنا المستقبل!!!

■ إدوار خوام

يوميات مسطول

«جوّع كلبك بيلحقك»

أتيحت لي في القرن الماضي فرصة التعرف على غني من أكبر عشرة أغنياء سورية. وقد استمتعت بالحوار معه بهدوء وتلذذ، محاولاً أن أفهمه، وقد فهمته.

وكوني مسطولاً، كان يستمتع بالحوار معي معتبراً أنني ديناصور انقرض، ومحاولاً في الوقت نفسه أن يغيّر عقلي الشاذ عن الناس الذين كانوا يجرون مهرولين نحو الغنى والاستفادة، فوقتها أينما ذهبت تتعثر بوجوه ملؤها الرغبة بالثراء، لأن ذلك كان متاحاً لبعض الناس.

في محاضرته الثقافية لي، ركّز معي على مثل شعبي شهير: (طعمي كلبك بيلحقك). أنا بالحقيقة لم أفهم فوراً شو علاقة كلبه بحديثنا .؟!.. أنا عم ناقشه انو الناس لازم ترفض وتثور عليهم (على الأثرياء)، وهو يقول لي: كلبك ـ بيلحقك ـ طعام، شو القصة. وعندما أدرك أنني مسطول لا يفهم شيئاً، قال لي:

ولك يا مسطول! شوباك... الناس كلها راكضة ورانا منشان ينتفعوا. طعميهم بيلحقوك وبيصيروا معنا ضد الديناصورات مثلك.

فهمت أخيراً. سيادته يرى أن الناس كلابه، فإذا رمى لهم عظمة بيلحقوه. وكانت ظابطة معه مع كم مترزق بيلحسوا حذاءه كل صباح حتى لم يعد يحتاج لماسح أحذية.

بس الزمن بيمر بسرعة. البلد فلست وفلوسها صارت برّا، لأن صاحبنا وشلته أكلوا الأخضر واليابس، وشربوا المي وبلعوا أكل الناس، وبطريقهم خربّوا الإنتاج. ما شاء الله ما ظلّ شيء حتى الهواء لوثوه، وهنّة مبسوطين لأنو ربحوا.

يعني بدك تقول سورية صارت بفضلهم خرابة. ساعتها أصريت أنو ارجع دردش معه بالسياسة بعد ثلاثين سنة.

رحّب بي وهو يتفرج على الديناصور الذي هو أنا. يبتسم ويفحصني بانتباه بلكي بيلاقي تغيّر. ما في فائدة مثل ما أنا، هيك سألني.

أنا طبعاً بدي شوف شو صار بالكلاب التي هي نحن الشعب: قلت له: إي أستاذ. ما عاد في طعام تطعميه للكلب منشان يلحقك، الناس تغيرت وبكره بتلاقي حالك لوحدك. مو هيك.

كاد يموت من الضحك: ولك يا ديناصور، الناس جاعت وصار بدها من الله أكل. لا بيت ولا سيارة ولا رصيد بالبنك. وكل ما جاعوا بيرجعوا بيلحسوا الحذاء مشان ياكلوا. تغيّر الزمن يا مسطول. صار المثل: جوّع كلبك بيلحقك.. نسخنا المثل القديم، وظابطة معنا، لأنو الأكل بإيدنا.. يا مسطول! القمل بيجيب قمل، والفلوس بتجيب فلوس، وأنت مقمل رح تجيب قمل.. ما عم تفهم أنو الناس لساها صافة على الدور بدها عطفنا؟ وصاروا منبطحين أكثر من الأول، وصار شراء الناس أرخص وأسهل؟

يعني إذا كانت البنت من 30 سنة بدها بيت وسيارة منشان تجي لعندي، صارت مستقتلة منشان زيادة شوي بالراتب وشوية هدايا، ما عاد فيها تحتمل.

والحبل عالجرار اللي ما بترضى لجهنم، في غيرها كل البنات.. والناس بتبوس ايدي منشان شغل راتبه ما بيكفيهم أكل هم وأولادهم.

قلت له: ولك يا ملياردير يا أجدب. لهلق الحالة ماشية معك مثل ما عم تقول، بس ما تنسى أنو كلبك إذا جاع ممكن ياكلك! وإذا أكلك، بتصير أنت وفلوسك ببطنه، يعني أنت مو أحسن من غيرك اللي أكلوه كلابه. يا رب يا قادر يا جبار تجيب دعوات الناس عليك.

■ سمير عباس

مطبّات

الكآبة الوافدة

بهتت الصديقة وامتقع وجهها ذعراً، اصفرت كأنما تلقت خبراً عن عزيز فقدته، لقد مات يحيى، ومن يحيى، البطل الأسمر ذو الشارب الوسيم، البطل الذي أحبته لميس حتى الجنون، يحيى بطل مسلسل سنوات الضياع.

قبل أكثر من عقد، جاءت (كساندرا) إلى ديارنا، وحبست الجميع في البيوت بما يشبه حظر التجول.

حطمت كساندرا قلوب السوريين، وحطم (لويس دافيد) قلوب المراهقات من بني جلدتنا، وارتمينا على الطرقات بنظراتنا باحثين عما يشبهها، وحلمت كل النساء بوسيم يأتي إلى السيرك في سيارة فارهة، وسقطت في ضربة واحدة أسطورة الفارس الشهم القادم على حصان أبيض.

انتشينا قليلاً بنساء من بيئتنا في (التغريبة الفلسطينية، باب الحارة، وأيام شامية)، الدراما السورية المعاصرة، ووجدنا ضالتنا في نساء على قد مقامنا، بحجم قاماتنا، يرتدين لباس شقيقاتنا، نسائنا، وأمهات لسن سوى أمهاتنا .كان خروجاً رائعاً من زمن المستورد على قياس العشاق في أمريكا اللاتينية، رغم أننا جميعاً عشقنا بطلات الأعمال الروائية لماركيز وكويلهو وسواهم، أحببناهن على الورق، لكننا نعود صاغرين لنسائنا، العابرات الأزقة الضيقة، الجامعيات، بنات الريف وجارات الشرفات، تعانقنا معهن دون فصام، سقطت كساندرا حتى اللحظة الأخيرة.

عاودت الموضة للظهور في وقت سيئ، في الوقت الذي كنا اعتقدنا تجاوز المحنة، بنفس التفاصيل، ولكن أشد وطأة، كانت كساندرا تفرغ شوارعنا في الظهيرة، لكن نور ولميس أفرغتا أيامنا، لم تعد المساءات صالحة للمساء، القيلولة صارت لصياح مهند من الوله، الأولاد في فزع من أن يقتل عابدين مهنداً ونور، تصيح الطفلة في حضن أمها : يا رب. حتى الذين فاتتهم حلقة الظهيرة والمساء، باتوا ينتظرون حلقة أول الفجر، اليوم كله مشغول ومشغوف بالقصة الخرافية، حلقات ممطوطة فقط لتمرير فكرة واحدة، في اللحظة التي يخطف عابدين الجميلة نور، يبقى المتفرج حلقتين كأنه هو الذي يعيش في المغارة، مشهد من الممكن أن يمر في دقائق، يستغرق ساعات من التحفز وشد الأعصاب، والانتظار الصعب لموعد المسلسل.

نور، سنوات الضياع، دراما تركية بلهجة سورية، وهذا الجديد الذي ساعد في نجاح الاستقطاب الكبير للجمهور، أصوات عرفناها، لكن هذه المرة لوجوه قد تكون أجمل، وجوه تركية مشرقية، بألسنة عربية شامية، إنها المقدرة الفذة على سحب المشاهد من عمله وأسرته، من أمام بوفيه المطبخ، من سرير الوليد الجديد، من سرير الزوجية أحياناً.

منذ سنوات هاجمنا البنطال كأحد مفرزات العولمة الجديدة، ولسنا في معرض الدفاع عنه أو الهجوم عليه، إن كان من شأنه أن يفقد الأنوثة معناها، أو يُشبّهها بنا، نحن الرجال، لكن استحضار الأنثى التي تعودنا عليها، طربنا للغناء عن تنورتها، وانتظرنا كثيراً؛ كمن ينتظر فريسة، هبة هواء شديدة لترتفع التنورة عن حلم تشهيناه.

من العشق على الطريقة المكسيكية إلى العشق التركي، وإن كان الأخير ليس بالبعيد عنا، مسلسلات تأخذنا بعيداً عنا، عما يشبه روحنا، وتربي بين ظهرانينا جيلاً نكاد نستغربه، جيلاً بعيداً عن همسات الروح التي تمثل هذا الشرق المزدحم بالذكريات والأساطير والميثيولوجيا، الشرق الذي علمنا القصص الناعمة عن الحب حين يدغدغ فينا غريزة الانطواء، اللمسة التي ترعش الجسد بوداعة، لا بانقضاض حيوان ضار.

العشق الشرقي الذي طالما راودنا على لمس يد امرأة كحلم كبير، عن الانتفاض من أخمص البدن إلى رأسه حين نريد أن نقول لامرأة إني أحبك.

الشرق الذي علمنا الخجل في اللقاء الأول، لاستخلاص اللذة كاملة بعد حين، الحب من دون الكشف عن المستور وفضحه، المستور الذي صار من البهيات في عصر الانفتاح على كل شيء، حتى النهاية.

مهند، يحيى، الأبطال الأتراك الذين يحتلون بصورهم شوارعنا وصدور الحالمات برجل جديد، رجل لا يشبه العاطل عن العمل، الثري الجميل على هيئة أبطال روايات عبير، ليس جامعياً في انتظار فرصة عمل، ليس موظفاً براتب محدود، ليس عاملاً في القطاع العام، حالمات برجل كامل المواصفات، جمال ومال وجاه، سطوة وقوة وجبروت، رجل ليست بحاجة لسؤاله من أين لك هذا؟ كيف جمعت المال؟ كيف تنفقه؟!! رجل ببساطة يدفع دون حساب، يدفع وينسى، لا يشاكلها في أول الشهر، وتهجره بعد منتصفه، رجل ليس على مقاس الأغلبية في وطني، رجل ولد وفي فمه مفتاح سيارة فخمة، ورصيد في البنك، رجل قوي وممتلئ، ناعم، أشقر، بعيون ملونة، ودون تاريخ في الحزام المزنر بالتعب.

■ ع.د

بعد أن عجزت الحكومة..
فرصة العمل في معرض فرص العمل (الخاصة)..

◄ عبد الرزاق دياب

سنشاهد ونقرأ بعد يوم على الأكثر، الخبر التالي على صفحات الجرائد، ووكالة سانا، وبعض الصحف الاليكترونية:

(افتتحت الدكتورة ديالا الحاج عارف معرض فرص العمل، وقد شهد المعرض إقبالاً واسعاً، وشاركت فيه كبرى شركات التوظيف وتأمين العمالة، وقد تجاوز عددها 62 شركة، وصرح البعض أن الغاية من المعرض تأمين فرص عمل للشباب الجامعي، وتأهيل من هم دون هذه المرحلة، وأن بعض الشركات استطاعت توفير 100 فرصة عمل وأكثر، وعبر عن حاجته لخبرة بعض المتقدمين بما يقارب الـ 45 فرصة - 100 فرصة، وقد بلغ عدد الذين تقدموا بسيرهم الذاتية حسب ما جاء على موقع المعرض 1980).

هذا ما يمكن أن أتوقعه بعد زيارتي لمعرض فرص العمل الذي رعته وزارة العمل، وقد كانت ملاحظة الإقبال من شريحة الشباب جلية وواضحة، والبعض يمتلك خبرات عالية، ولكن لم تتوفر له الفرصة ليعمل.

المعرض يعتبره أغلب من سألناهم عن سر اللجوء إلى معارض تقيمها جهات خاصة برعاية الوزارة المعنية بتشغيلهم، يعتبرونه فرصة قد تأتي بوظيفة بعد أن عجزت الطلبات النائمة في كمبيوترات وزارة العمل عن إيجاد فرصة عمل لهم، وأغلبهم ممن يحملون الشهادات العليا، ومحاولة من المحاولات التي قاموا بها سابقاً للحصول على وظيفة، سواء في العام أو في الخاص.

● الأمل الكاذب

رغم الأمل الذي تحدث عنه الكثيرون ممن كانوا يدورون في أروقة المعرض، متنقلين بين شركة وأخرى، كان هذا الأمل جزءاً من الدوران غير المجدي الذي يمارسونه في انتظار تحقيق حلم العمل.

مازن ح: خريج جامعي من كلية الاقتصاد : أعرف تماماً مدى الفرصة في إيجاد فرصة عمل، هذه الشركات الراعية والمشاركة تبحث عن مواصفات معينة، وأعرف جيداً أن فرصة العمل وإن تحققت لن تكون المنقذ لي، والقادرة على صنع المستقبل الذي أحلم به، كلنا يعرف أن الوظيفة لم تعد العمل الذي يسد الرمق، وخصوصاً لمن لديه عائلة، أو من كان مسؤولاً عن الغير.

أمل كاذب بين كلمات مازن، لكن زميله الذي تقدم إلى ثلاث شركات، وعدته بعد المعرض بالاتصال به، ودراسة المعلومات التي وضعها في سيرته الذاتية ومدى تطابقها مع الموظف الذي تحتاجه.

يوسف .ر: لدى هذه الشركات أهداف أكبر، هي تثبت نفسها في مجال تشغيل العمالة، والفرصة هي فرصتها في استقدام نفس جديد، والحصول على مواصفات الشخص الراغبة في تشغيله كما تشاء.

رامية(متحفزة): لقد وعدتني إحدى الشركات بالعمل بعد نهاية المعرض، لكنني سمعت الوعد نفسه الذي يقال لكل من يتم التنسيق معه.

● الدور المفقود

عشرات الآلاف في الواقع يبحثون عن فرصة تشبه الفرص التي تحاول هذه الشركات أن تقدمها لهم.

الدور المفقود لوزارة العمل، والجهات التابعة لها في إنفاذ جيش العاطلين عن العمل، وبالأخص الجامعيين الذين لا مسابقات في جميع الاختصاصات لتعيينهم، والقطاع الخاص الذي ليس بقادر على استيعاب هذا الجيش، أوصل جميع العاطلين عن العمل إلى حافة اليأس..

أميرة خريجة كلية الشريعة: درست في جامعة دمشق، تخرجت سنة بسنة، بانتظار المسابقة التي تقدمت إليها، بعد أن هلكت روحي في دروس الساعات التي لا تغني من جوع، ولكن قبلنا بها كي لا نشعر أن سنوات الدراسة التي قضيناها ذهبت في البحث عن وظيفة، والقبول بفكرة ربة المنزل غير العاملة، التي تنجب الأطفال وتطيع زوجها أو ولي أمرها في كل ما يأمر.

إيمان د: لم أكمل دراستي، وأعمل بأكثر من عمل، سوبر ماركت، بائعة ألبسة، محل لبيع الإكسسوارات، ألسنا في النهاية نبحث عن عمل يحمينا من السؤال أو من الانحراف.

محمد . س: في هذا المعرض أبحث عن الفرصة الأخيرة قبل أن يكتمل القرار في داخلي بالبحث عن العمل في مكان آخر، بالأدق في بلد آخر، كنت أتمنى أن أعمل في هذا البلد، وطني الذي أنفق على تعليمي، أولى أن أعمل به.

سعاد . ي: طلبي في وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل، ريف دمشق منذ ثلاث سنوات، لم يتصل بي أحد حتى هذه اللحظة، ظننت للوهلة الأولى أن هناك خطأً ما، في أوراقي، في عنواني، رقم هاتف جارتنا، أو أن الوزارة اتصلت ولم يخبروني بذلك.

مروان: الفرص التي يتحدثون عنها، وخصوصاً ما تقدمه الدولة يثير الضحك، إنهم يؤمنون الفرص للسائقين، الحراس، أي المهن التي ليست مهناً تتطلب كفاءات أو معارف متطورة.

● العمالة الضالة

العمالة بكل أطيافها، شهاداتها، خبراتها في الحياة، تبحث عن فرصة للتأكد على الأقل من مقدرتها على تطبيق النظري إلى عملي مأجور، المهندس لا يريد أن يمزق ورق المرسم، يكسر الفرجار، ويعتقد أن العمل حلم، خريجو الإعلام الذين يبحثون عن مكان للكتابة دون

> **الدور المفقود لوزارة العمل، والجهات التابعة لها في إنقاذ جيش العاطلين عن العمل.. والقطاع الخاص الذي ليس بقادر على استيعاب هذا الجيش، أوصل جميع العاطلين عن العمل إلى حافة اليأس..**

إسفاف، أو القبول بفكرة العمل في القطاع الخاص رغم معرفتهم بمدى الانتهازية والجهل الذي سيحيط بهم من كل حدب وصوب.

خريج كلية الاقتصاد لن يذهب بشهادته إلى جدار المنزل، أو يعمل محاسباً في مقهى، فرصة العمل التي يحتاجها هي التي تضعه في مكانه الحقيقي في المجتمع.

نور خريجة معهد الأعمال الإدارية: أبحث عن فرصتي، أنا أعمل منذ سنوات في القطاع الخاص، دوامين، من العاشرة صباحاً حتى الرابعة، ومن السادسة حتى التاسعة، في استهلاك لكل وقتي وجهدي.. أفضل من انتظار رحمة كمبيوتر وزارة العمل الذي لا ينظر إلى الأسماء النائمة فيه أحد!!.

العمل لا تحتاجه خريجة الجامعة فقط: الآلاف من النساء يبحثن عن عمل يساعد رب المنزل في مصروف المنزل الخانق، ولكن دون جدوى.

وجدان معلمة خياطة: باءت كل المحاولات التي قمت بها لتحقيق معمل أو ورشة خياطة بالفشل الذريع، حتى مع القروض الصغيرة، وحتى بالشراكة، زوجي يعمل دهاناً، حداداً، طياناً، مع ذلك المصروف لا يكفي، وأنا أبحث عن فرصة العمل لغاية واحدة أن أساهم في بيت أبنيه لأولادي بعد أن أنهكت الإيجارات ظهرنا، واستهلكت معظم ما نجنيه، وهو يسير.

حسن ج: لم أترك عملاً عضلياً إلا وعملت به، سواء بإرادتي أو غصباً عني، مرة كنت المعلم، ومرة كنت الصانع، اقتربت من سن الأربعين ولم أستطع بناء سقف لراسي ولأجساد أبنائي الصغار، الأعمال العضلية تحتاج إلى رجل دائم النشاط، ولكن للعمر ضريبته، وها قد أصبحت في سن حرجة، وما زلت أقوم بالجهد ذاته.

في باب الجابية ينتشر الباحثون عمن يشغلهم في أي شيء، العدة جاهزة، السطل البلاستيكي، الرفش، الحبل المدني.

أبو جاسم: على هذه الحالة قضيت نصف حياتي، لا أتذكر يوماً أني اشتغلت في مكان واحد، يقودني الذي يدفع أين يشاء.

تحت جسر الميدان يجلس شباب في أول أعمارهم، منتظرين صاحب حاجة يقودهم إلى عمل قد لا يكفيهم وجبة طعام.

أحمد د: تركت المدرسة لأساعد والدتي في تربية إخوتي بعد أن مات والدي، ضاعت المدرسة، ولا يوجد عمل، يحتاج مكتب العمل إلى مهنيين، وأنا عامل حر.

● في العاطلين

تعترف الإحصاءات الرسمية بأكثر من نصف مليون عاطل عن العمل في بلدنا، بطالة حقيقية ومقنعة، وشبه عاملين، وهيكل منخور من الموظفين الذين يقبضون رواتب اجتماعية

> **تعترف الإحصاءات الرسمية بأكثر من نصف مليون عاطل عن العمل في بلدنا، بطالة حقيقية ومقنعة، وشبه عاملين، وهيكل منخور من الموظفين الذين يقبضون رواتب اجتماعية بالكاد تشبعهم الخبز ولا تقيهم شر حاجة المتطلبات الأخرى.**

بالكاد تشبعهم الخبز ولا تقيهم شر حاجة المتطلبات الأخرى.

تتحدث الحكومة عن حوالي 200 ألف عامل غير مثبت في إحصاءاتها، والسيد رئيس الحكومة، ووزير المالية يتحدثان عن عدم النية في تثبيت هؤلاء الذين لم يعد لهم أي نصير.

الأرقام في حقيقتها أكبر من الفجيعة، وهي أكبر من التصريحات، وهي تعيش مع الغلاء الفاحش، قلة العمل، المواسم الخرافية السيئة، الإدارة الاقتصادية المرتبكة، رفع الدعم عن أساسياتها، الرقابة الغائبة من أجهزة الدولة على التلاعب الذي تمارسه أيدي التجار التي أطلقت لتعمل في أرزاق الناس وتدوس على كرامتهم.

اجتمعت في المعركة ضد الباحثين عن فرص العمل كل السلبيات، ليكونوا جحافل من الجوعى دون أمل.

● خطوة مجانية

معرض فرص العمل الذي أقامه القطاع الخاص برعاية من السيدة وزيرة العمل خطوة مجانية، هو القطاع الذي يأكل العامل من الشمس إلى غروبها، القطاع الخاص الذي لا يعترف بالتأمين للعامل، ويرى أن العامل يأخذ أكثر مما يستحق بمجرد أن يعمل.

الطرف الذي يرعى المعرض وعلى لسان السيدة الوزيرة : لا يوجد فقراء في سورية، هناك أصحاب دخل محدود..

لطرفي المعادلة، من كل هؤلاء الذين يبحثون عن فرصة عمل..

■■

وزراء ومدراء ومتنفذون في مستنقع آسن!!

◄ نزار عادلة

كان القطاع العام طوال سنوات، وقبل تبني اقتصاد السوق وتحرير التجارتين الداخلية والخارجية، يعاني من صعوبات وتراجعات بشكل عام، ولم تكن هناك أية محاولة للحد من هذه الصعوبات، بل رأينا على أرض الواقع فك الارتباط ما بين جهات القطاع العام وفوضى إدارية وفساد وقوانين معيقة، أدت في مجملها إلى انخفاض نسب الانتفاع من الطاقات الإنتاجية لهذا القطاع وتزايد المخازين وتدني السيولة المالية وانخفاض الانتفاع من الخطط الاستثمارية.. توقفت شركات عن العمل والإنتاج وغيرها مهدد بالتوقف... خسارات متتالية تتعرض لها شركات عديدة، دون اتخاذ أي قرار للحد من هذا التدهور المستمر.

الواقع والحقائق

بات اقتصاد السوق الاجتماعي وانعكاساته ونتائجه الاقتصادية والاجتماعية شماعة دائمة نعلق عليها كل الانتهاكات التي ارتكبت بحق القطاع العام، هروب إلى الأمام وقفز فوق الحقائق والوقائع، وجاءت الإدارات والجهات الوصائية وصبت الزيت على النار وساهمت بشكل واضح في تكريس الخراب والخلل العام.

الواقع الميداني يقول:

مئات المذكرات رفعت من النقابات ومن بعض الجهات الإدارية تتحدث عن الخلل في هذه الشركة أو تلك، وتدعو إلى التكامل ما بين شركات ومؤسسات القطاع العام، ولكن المحصلة أن الخلل راح يكبر ويتوسع بشكل متواصل.

معمل الوليد للميكروباص..

منذ 15 عاماً والواقع يزداد سوءاً يوماً بعد يوم، ولم يتم إيجاد حلول ذات جدوى اقتصادية للمعمل:

- عدم توفر المواد الأولية.
- عدم توفر السيولة.
- عدم الاهتمام بالعمل من الناحية الإنتاجية والاقتصادية.
- عدم وجود عمل ثابت ذي جدوى اقتصادية.

بعد صندقة الميكرو، بدأ المعمل بإنتاج السحاحير والمقاعد المدرسية ورفعت أكثر من مذكرة ومن توجيه لمديريات التربية بالتعاقد بالتراضي مع المعمل، ولكن لم تلتزم إية جهة بذلك، وكانوا يفضلون التصنيع في القطاع الخاص. فاتجه المعمل لتصنيع الأبراج الكهربائية، ومجدداً صدر عن رئاسة الوزراء ووزارة الكهرباء العديد من التوجيهات للتصنيع في المعمل، ولم يتم الالتزام، وكانوا يفضلون القطاع الخاص، لتبلغ الخسارة مئات الملايين ويتناقص عدد العمال يوماً بعد آخر.

شركة الإطارات:

منذ سنوات والإطار الوطني «أفاميا» يتعرض إلى ضغوط كبيرة ومنافسة غير عادلة في الأسواق المحلية، حيث أغرقت هذه الأسواق بمئات الأصناف والأنواع من الإطارات الأجنبية المختلفة، لاسيما منها الإطارات الصينية والجنوب آسيوية، وباتت الشركة أمام أوضاع صعبة ابتداءً من منتصف عام 2005 وحتى الآن. رفعت مئات المذكرات من إدارة الشركة ومن النقابة تؤكد على الجهات الوصائية ضرورة اتخاذ إجراءات سريعة لحماية الإنتاج الوطني، حيث أن أكثر الدول العربية ومنها مصر وتونس اتخذت إجراءات للحد من تأثير سياسة الإغراق بفرضها رسوماً على الإطارات المستوردة، مما ساعد في تخفيف الضغط على الإطارات المصنعة محلياً. فمصر مثلاً تفرض على الإطار المستورد نسباً تتراوح بين 44 إلى 89 %.

وفوق ذلك جاء انسحاب مؤسسة التجارة الخارجية من حلبة تسويق الإطارات بشكل مفاجئ، وتبعها تقاذف الاتهامات بين المؤسسة والشركة حيال ذلك، وتم رفع أكثر من قرار ومن توجيه من رئاسة مجلس الوزراء للطلب من الشركات الإنشائية والجهات الحكومية أن تقوم باستجرار حاجتها من شركة الإطارات، ولكن لم يلتزم أي من الجهات بهذه التوجيهات والقرارات لأن القطاع الخاص أفضل!

والمأساة والمفارقة هنا أن من يطالب جهات القطاع العام بالاستجرار من شركة الإطارات، يفضل هو نفسه منتجات القطاع الخاص ويشتري من التجار، وينطبق هذا الأمر على شراء السيارات للجهات العامة والحكومية أو النقابية! فقد تم مؤخراً شراء عشرات السيارات اليابانية لبعض القيادات النقابية، لتبقى السيارة السورية «شام» تقول أنا هنا، أين أنتم أيها الغيارى على الصناعة الوطنية؟!

معمل الباسل

ينتج معمل الباسل الفولاذ الكهربوني والخلائقي، وقد تم ضمه إلى شركة حديد حماة عام 2004، رفع أكثر من توجيه لشركات القطاع العام، وخصوصاً معامل الأسمنت والجرارات، باستجرار المحاور وآليات عديدة ينتجها الباسل وليس من القطاع الخاص، علماً أن المعمل ليس له مثيل في الشرق الأوسط، ورغم هذه التوجيهات فإن الشركات ومعامل القطاع العام تستجر من القطاع الخاص، أو تستورد عن طريق السماسرة والتجار، لذلك فالمعمل يكتفي بالإنتاج حسب الطلب، على الرغم من أنه يضم 109 عمال من خيرة الكوادر الفنية الهامة.

شركة الأحذية

شهدت انهياراً كاملاً بمعاملها الثلاثة، ولحقت بها خسائر بمئات الملايين، وتوقفت خطوط الإنتاج فيها بشكل دائم، ولا يوجد لديها أية طلبيات... وتشهد خللاً إدارياً، إلى جانب حرمان العمال من كل الميزات التي حصلوا عليها في سنوات سابقة، والتأخير في قبض الرواتب. وأكثر من بلاغ وتعميم من وزارة الصناعة ومن رئاسة مجلس الوزراء يطلب من شركات القطاع العام والجهات العامة استجرار حاجة عمالها من الشركة، علماً أن إنتاج الشركة مميز ويتمتع بجودة عالية، ولكن رغم جميع البلاغات والتعاميم، لم تلتزم الإدارات والنقابات وماتزال رافضةً استجرار حاجتها من الأحذية والستر الجلدية من الشركة، وتتعامل مع القطاع الخاص والأهداف لا تغيب عن أحد وعلى معرفة الجميع. مضت شهور عديدة ومدير عام الشركة يحث ويتواسط من أجل منح الشركة قرضاً بقيمة 50 مليون ل.س لشراء مواد أولية لتصنيع 400 ألف زوج من الأحذية لوزارة الداخلية، ولم يستطع الحصول على القرض، بل إنه لم يجد من يكفل الشركة في السداد، ويعرف الجميع كيف تبددت أموال المصرف الصناعي بين التجار والسماسرة الذين حصلوا على قروض لمشاريع وهمية دون أن يسددوا، ورغم ذلك نرى أن شركة من القطاع العام، وبحجم شركة الأحذية، تفشل في الحصول على القرض!

الغزل والنسيج:

يحصل عمال شركات ومؤسسات القطاع العام على كسوة عمالية صيفية وشتوية، وتقول التعاميم بأن يتم الشراء من شركة «وسيم للألبسة الجاهزة» وهي شركة كبرى وقدمت للشركات تسهيلات كبيرة في اختيار نوع الأقمشة، وتقديم القياسات المطلوبة، وتقوم الشركة بالتنفيذ وفق هامش ربح بسيط، ومع ذلك فإن أكثر الشركات لا تنفذ ولا تلتزم بالتعاميم والقرارات والبلاغات، وهذا ما أوقع «وسيم» في أزمة.

الشركات الإنشائية:

تشكو جميع هذه الشركات من قلة توجيهات العمل، وأن الجهات الحكومية تسلم مشاريعها للقطاع الخاص بمناقصات، وأنه ليس لدى هذه الشركات القدرة على مزاحمة المتعهدين. لقد أصيبت أكثر هذه الشركات بالإفلاس ورفعت عشرات المذكرات للمطالبة بتسليم بعض الأعمال الحكومية الهامة إليها بعقود بالتراضي، وفعلاً صدرت تعاميم للجهات الحكومية بتسليم بعض الأعمال بالتراضي، لكن بعض الجهات الحكومية التزمت وبعضها الآخر لم يلتزم، وحصلت بعض الشركات على عقود أعمال بالتراضي ولكن ومباشرة تم تسليمها للمتعهدين بنسب معنية وحصص وتقاسم أرباح.

الألبان والأبقار:

أزمة مستمرة بين معامل الألبان ومؤسسة الأبقار منذ سنوات، فالمؤسسة تتبع لوزارة الزراعة، بينما يتبع المعمل لوزارة الصناعة، والسؤال:

لماذا لا يتم إيجاد جهة إشراف وزارية واحدة، بدل التضارب والسجال الدائم بين المؤسسة والمعامل حول سعر الحليب ونوعيته وتسويقه، وحول اضطرار المعمل للاستجرار من القطاع الخاص؟!

وينطبق هذا أيضاً على شركات الزيوت، وعلى جميع شركات ومؤسسات ومعامل القطاع العام، في الوقت الذي تقف الجهات الوصائية متفرجةً على هذا الخلل «العام» دون استطاعة أي وزير أو مسؤول اتخاذ قرار!!.

لسنا بحاجة إلى عناء كبير لمعرفة أسباب هذا الخلل وعدم اتخاذ قرارات بشأنه، فرائحة الفساد طاغية على كل أوجه هذه الظواهر، وقد أصبح الفساد أيديولوجية يشكل الوزراء والمدراء وكثير من المتنفذين أركانها، وهذه الفئات قوي ساعدها واستعملت نفوذها لصب الزيت على النار، لقاء مكاسب وامتيازات وعمولات، كلها تتم على حساب القطاع العام والتنمية ومجموع الشعب.

■■

تجيير الإعلام في خدمة منظمة التجارة العالمية

◄ علي نمر

منذ أن تغير اسمها في 15 نيسان 1994 من «الغات» إلى «منظمة التجارة العالمية»، وخارطة الاقتصاد العالمي في تغيير دائم، لتبرز أهم مفاعيلها وتأثيراتها في حركة السلع والخدمات ورأس المال والمعلومات والأيدي العاملة عبر الحدود الوطنية والإقليمية. وفترة التحول هذه كان أبرز مقدماتها انهيار الاتحاد السوفيتي، وما تلاه من تعاظم نشاط حركة الأسواق المالية وقيام تكتلات اقتصادية كبرى.

ومع أخذها شكلاً ومضموناً جديدين، يكون قد اكتمل تشكيل مثلث مؤسسات النظام الاقتصادي العالمي الإمبريالي المدمر والخطر برؤوسه الثلاثة: (البنك الدولي، صندوق النقد الدولي، ومنظمة التجارة العالمية)، وهكذا راح يتنامى دور المؤسسات الدولية في رسم مسار التنمية للدول النامية والتحكم فيه وسيطرة دول الشمال الغني على النصيب الأوفر من الاقتصاد العالمي عبر شركاتها وفروعها المنتشرة في أنحاء العالم، المتحكمة بعمليات الإنتاج وتوزيع الدخل العالمي وحل مشاكلها الاقتصادية والاجتماعية على حساب دول الجنوب الفقير.

الانضمام شرٌ لابد منه

فمن أجل جدية سورية في الانضمام إلى منظمة التجارة العالمية عقدت قبل أسبوعين في دمشق ندوة تخصصية للإعلاميين حول قواعد وأنظمة منظمة التجارة العالمية، برعاية وزارة الاقتصاد والتجارة بالتعاون مع وزارة الإعلام وبرنامج الأمم المتحدة الإنمائي بدمشق.

شملت محاور الندوة مقدمة تعريفية عن منظمة التجارة العالمية، وكيفية معالجة الصحافة والرأي العام لموضوعات التجارة العالمية، والمتابعات التي تتم في سورية حول الانضمام للمنظمة، إضافة إلى استعراض تجارب بعض الدول العربية في المجال الإعلامي خلال عملية الانضمام، والدروس المستفادة لتفعيلها بما يحقق المصالح الاقتصادية والتجارية والتنموية السورية، والتأكيد على دور الصحافة في مساندة قضايا مفاوضات الانضمام إلى المنظمة والتي تتطلب إعلاماً ناضجاً ماهراً وقادراً على تهيئة المجتمع لمرحلة مهمة من مراحل التغيير، لاسيما مع تزايد الاندماج والترابط بين الدول في ظل تحرير نظام التجارة العالمية.

شارك في الندوة التخصصية التي استمرت على مدى يومي 15 و2008/6/16 عدد من الإعلاميين ورجال الصحافة، وأكد كل من حاضر في الندوة أن الهدف الأساسي منها هو تعريف المشاركين، ولاسيما الصحفيين والإعلاميين، بجدية سورية في الانضمام إلى منظمة التجارة العالمية، وإلى دور الصحافة في مواكبة الجهود بالتوجه لاقتصاد السوق الاجتماعي وإيجاد البيئة التشريعية والتنافسية المناسبة للانخراط في الاقتصاد العالمي، والوصول إلى إعلام فعال ومدرب على المسائل الفنية يستطيع أن يدافع عن مجمل القضايا الوطنية بموضوعية.

وتم توضيح أمر مهم، وهو أن الخوف من منظمة التجارة يعود إلى أن الناس لا يعرفون منظمة التجارة، وما هي الاتفاقيات التي عقدت فيها، وما هي التزاماتها، وأن موضوع انضمام سورية للمنظمة ليس سهلاً، لكنه ليس مستحيلاً، بل يستغرق بعض الوقت.

شتان ما بين الثرى والثريا

حسناً إذا كان الخوف أننا لا نعرف منظمة التجارة، فدعونا نذكركم بنقاط بسيطة من بحر هذه المنظمة التي تتسم بهيمنة النظام الرأسمالي بمبادئه وآلياته.

إن هذه المنظمة ومنذ ميلادها كرست حدة العلاقة اللامتكافئة بين الشمال الغني «المصنع» المتمثل بأميركا وأوروبا واليابان والجنوب الفقير. إذ زاد من تحكم الشمال المنتج بأكثر من 87 % من الواردات العالمية وأكثر من 94 % من صادراته، حيث انطلقت الشركات المتعددة الجنسية التي تتوزع رؤوس أموالها في أكثر من دولة، لتجبر الجنوب على مبادئ استثمارية جديدة، تدعمها في كل ذلك برامج الإصلاح لصندوق النقد الدولي، وتوسيع امتيازات الاستثمار الأجنبي، لتصبح التنمية دخول دول الجنوب والانضمام إليها بالتي هي أحسن؟

وإذا كان البعض بالندوة قد أشار بالقول «نعيش اليوم في ظروف العولمة التي تترافق مع التغيير المتسارع لدور الدول في تقسيم نظام العمل الدولي الناتج عن الانفتاح الاقتصادي العالمي وانضمام معظم الدول إلى منظمة التجارة العالمية وتوقيع المزيد من الاتفاقيات التجارية الثنائية والمتعددة الأطراف»، فلابد من التوضيح أن البداية الفعلية لهذه العولمة كانت مع ظهور النظام العالمي الجديد الذي أشعل الحروب في القارات الخمس من أجل مصالحه والخروج من أزماته الخانقة والتي وصلت إلى حد التريليون دولار، والسيطرة على كل مناطق ومنابع النفط، والتحكم في مصادر المواد الأولية الاستراتيجية وتشكيل أسواق دولية مترابطة.

والعولمة منذ ظهورها لم تشع الرخاء والازدهار في العالم كما يعتقد البعض، بل إنها أدّت بفعل السوق وآلياتها إلى التقليص المستمر في الخدمات الاجتماعية وخاصة التعليم والصحة والسكن والرعاية الاجتماعية، بالإضافة إلى تعميق الهوة والتفاوت في الدخول على الأصعدة الوطنية والإقليمية والعالمية.

فوفقاً لإحصاءات البنك الدولي، فإن معدل الدخل لمليار ونصف المليار من الناس يقل عن دولار واحد في اليوم، كما أن مداخيل خمسين مليون شخص لا يمثلون سوى واحد في المائة من سكان العالم، تعادل مداخيل مليارين و700 مليون نسمة من الناس الأشد فقراً.

إلى الحضن العربي

إن منطقة التجارة العربية الحرة مازالت دون المأمول منه، لذلك من الأفضل للدول العربية التوجه إلى الاتحاد الجمركي الإقليمي بدل الانضمام وبصورة منفردة إلى اتفاقات الشراكة الأوروبية المتوسطية، أو من توجهها إلى إقامة المناطق الحرة مع الولايات المتحدة الأمريكية التي تقف بصراحة ضد التكامل الاقتصادي العربي والاندماج الإقليمي للدول العربية الذي سيكون إطاراً حقيقياً للنمو الاقتصادي العربي.

أخيراً لماذا يتم دائماً التوجه إلى الإعلام والإعلاميين من أجل تمرير أية خطة أو مصطلح جديد في الحياة الاقتصادية كقانون رفع الدعم الذي أصر على تمريره الفريق الاقتصادي رغم علمه بخطورة ما يقدم عليه. على الإعلاميين أن يكونوا دائماً على حذر من كل مصلح «بريء»، وفضح السلبيات التي ستكون عواقبها وخيمة على الوطن والمواطن.

يذكر أن مديرية منظمة التجارة العالمية ومنذ إنشائها أواخر عام 2006 لدى وزارة الاقتصاد والتجارة، قامت بالعديد من النشاطات والورشات خلال عامي 2007 ـ 2008 وصلت إلى إحدى عشرة ورشة من أجل الانضمام، وذلك بالتعاون مع جهات عربية ودولية.

إن النظام التجاري العالمي المستهدف ما هو إلا وسيلة لوصول الدول الصناعية الحر والسهل إلى مكامن الخامات والموارد في الأسواق العالمية من جهة، ولإيصال سلعها القادرة على المنافسة لأسواق الدول النامية من جهة ثانية، وبالتالي فإن أحوال النمو المستدام للدول النامية والفقيرة أصبحت مخيبة للآمال، وخاصة بعد رفع الحواجز والقيود الجمركية والحمائية والتي قادت إلى واقع مؤلم لهذه الدول ومستقبل أشد إيلاماً حيث:

1 – نصف سكان العالم يعيشون بأقل من دولار يومياً
2 – 20 % من سكان الدول الغنية يستهلكون 86 % من السلع والخدمات العالمية.
3 – مليار شخص أمي في القرن الـ 21.
4 – تكلفة ساعة العمل في الدول المقدمة 30 دولار عام 2005 وفي الدول النامية 2 دولار.

أخيراً: تهيمن الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد الأوربي واليابان على منظمة التجارة العالمية، ويجري من خلال المفاوضات والمؤتمرات تكريس مصالح هذه الدول، فإذا اتفقت فيما بينها تنجح هذه المؤتمرات، وتفشل إذا اختلفت، واتفاقها واختلافها يكون في جميع الأحوال على حساب مصالح الدولة النامية.

ونحن في سورية إذا ما رغبنا بالانضمام لمنظمة التجارة العالمية وتحقيق مصالحنا، فالبداية والنهاية ليست في جنيف، بل هنا، وتحديداً عند الإجابة على السؤال المحوري: «كيف نعزز قدراتنا الإنتاجية التنافسية»، وما هو دور كل منا، وما هي حدود مسؤوليته؟؟.

■ ali@kassioun.org

التنمية في ظل

عدم الاستقرار السياسي والتهديد الأمني في المنطقة العربية

ضمن سعيه لاستقطاب الباحثين والدارسين، دعا مركز الدراسات والبحوث الاستراتيجية في جامعة دمشق إلى ندوة تحت عنوان «التنمية في ظل عدم الاستقرار السياسي والتهديد الأمني في المنطقة العربية»، وذلك في الفترة من 9 - 10 / 7/ 2008.

وقد شهد اليوم الأول محاضرة للدكتور مدين علي بعنوان « إشكالية العلاقة بين التنمية والاستقرار»، ومحاضرة للدكتور محمد سمير مصطفى أستاذ الاقتصاد من معهد التخطيط القومي بالقاهرة بعنوان «نحو منهج تنموي بديل للمجتمعات المهددة أمنياً، مع إشارة خاصة إلى التهديدات الاجتماعية» ، أما المحاضرة الثالثة فكانت للدكتور عدنان سليمان تحت عنوان: «أهمية توفير العدالة الاجتماعية والانسجام المجتمعي لعمليات التنمية في المجتمعات المهددة أمنياً».

المحاضرة الرابعة والأخيرة كانت للدكتور معتصم رشيد سليمان بعنوان: «الوطن العربي في ظل تطورات الصراع العربي الصهيوني».

وفي جلسات اليوم الثاني التي من المفترض أنها انعقدت بعيد إغلاق العدد، ثمة محاضرة للدكتور منير الحمش بعنوان «مقاربة الواقع العربي في ضوء العلاقة بين التنمية والاستقرار» ومحاضرة لغسان إبراهيم بعنوان «الإصلاح والسياسات الاقتصادية في المجتمعات المهددة أمنياً» وأخيراً محاضرة للدكتور رفعت لقوشة بعنوان «التنمية والتهديد: إعادة اكتشاف العدالة الاجتماعية»..

هذا وستكون لقاسيون وقفة مطولة مع فعاليات هذه الندوة في العدد القادم..

■■

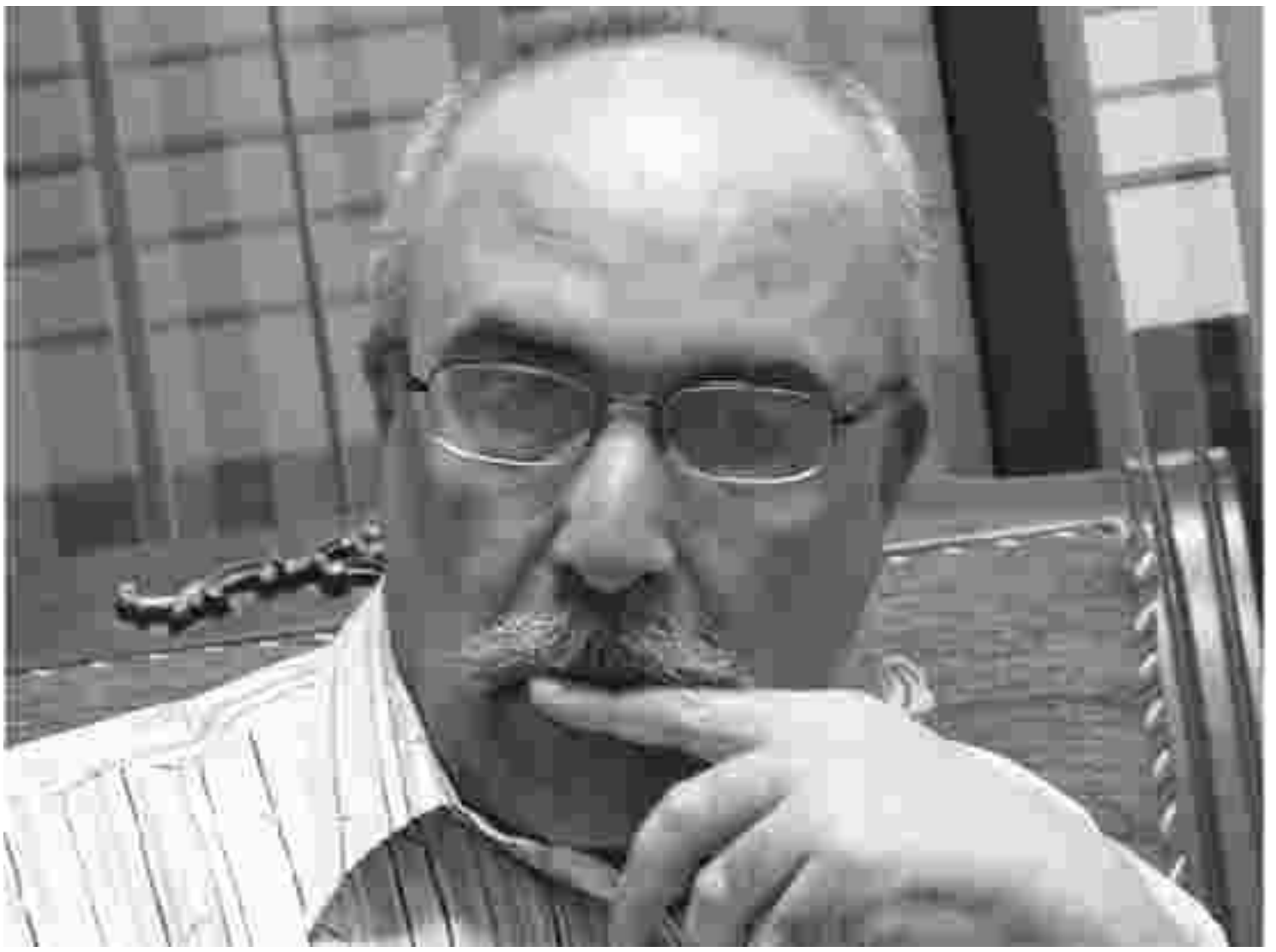

د. كمال خلف الطويل لـ«قاسيون»:

«حزب الحرب الأمريكي» يكرر ما فعله اليمين البريطاني قبيل انهيار الإمبراطورية البريطانية

◄ حاوره: حمزة منذر

يبدو العالم اليوم، في ظل الأزمات المتتالية التي تعيشها الإمبريالية العالمية المتوحشة ورأس حربتها الإمبريالية الأمريكية، وكأنه يقف على حافة الهاوية.. والملفت أنه كلما ازدادت حدة وتعقيد هذه الأزمات، ازداد إصرار «صقور القطب الواحد» على مشاريعهم المتخبطة للهيمنة على مقدرات هذا العالم وثرواته وبيئته وسكانه ومصائره، وحرمان خصومهم ومنافسيهم الإمبرياليين من إمكانية مقاسمتهم الثروة والسيطرة والقرار..

للإضاءة على هذه الأزمة العاصفة التي تعد بتقويض النظام الإمبريالي بصورته الحالية، وانعكاسات ذلك على العالم عموماً ومنطقتنا خصوصاً، استضافت «قاسيون» المحلل السياسي والباحث الاستراتيجي الدكتور كمال خلف الطويل، وأجرت معه حواراً مطوّلاً..

● د. كمال.. أهلاً وسهلاً بك ضيفاً عزيزاً على صفحات جريدتك «قاسيون»..

أهلاً وسهلاً بكم.. لي الشرف بالحضور على منبركم ووجودي بينكم..

● بدايةً، في المحور الأول، نودّ لو تعطينا فكرة كاملة عن حقيقة الوضع في الداخل الأمريكي، وكيف تنعكس الأزمة الاقتصادية على نمط الاستهلاك، وما هو حجم التوتر الاجتماعي- الداخلي، وما هي احتمالات تطوره اللاحق مع انعدام الحلول الناجعة؟

سأتكلم عن كل ذلك بومضات بارقة ليس إلا، فأحياناً هناك رسائل صغيرة وقصيرة قد تفي بالغرض أكثر من الاستفاضة.. على سبيل المثال: قيمة العقارات الفعلية في الولايات المتحدة هي 50 تريليون دولار، بينما حجم الرهونات العقارية على هذه العقارات تصل حتى 450 تريليون دولار أي تسعة أضعاف، ومن المعروف عادة بالدوائر الاقتصادية، الغربية على الأقل، أن النسبة والتناسب بين قيمة العقار وحجم الرهونات عليه يجب ألا تزيد عن واحد إلى ثلاثة. إذاً نحن أمام ثلاثة أضعاف الحد الأقصى..

هناك رقم فلكي آخر.. إن حجم الدين الحكومي الأمريكي الفعلي فقط، سواء من أفراد أو شركات هو 56 تريليون دولار، وبالتالي نحن أمام تحول يحدث بشكل شديد التسارع منذ الثمانينات أيام عهد ريغان، حيث يجري الانتقال من مجتمع كانت قيمة العمل والإنتاج فيه هي العليا، وإن لم تكن العليا فهي لا تقل شأناً عن قيمة الاستهلاك، وكان هناك شيء شائع في أمريكا اسمه (work ethics) «أخلاقيات العمل».. أي أن تعمل بجد في سبيل عملك، وأن تصل من خلاله إلى مردود يفضي بك إلى تحقيق حلمك الأمريكي، (بيت – سيارة)، هذا المجتمع الآن مرهق لدرجة كبيرة، بعد أن كان الإنتاج قاعدته الصلبة، تحول إلى أن أصبح الآن ربع دخله القومي فقط من الإنتاج الصناعي والزراعي، أما ثلاثة أرباعه الباقية فهي خدمات ومعلوماتية.

ربع الدخل الوطني الأمريكي فقط يأتي من الزراعة والصناعة.. أما الباقي فيأتي من الخدمات والمعلوماتية..

تجد الرأسمال الأمريكي يصدر صناعاته إلى دول العالم الثالث ويحصل فيها على مكاسب كبيرة، بسبب القوة العاملة الرخيصة، ويصدّر من دولة المنشأ شركات متعددة الجنسيات تصدر منها منتجاتها بالأسعار الفلكية، ويكون هامش الربح كبيراً جداً، فالأجور بدلاً من 16 بنس/سا في دول العالم الثالث، قد تصل في ديترويت أو أي مكان في الولايات المتحدة إلى 16 دولار أو 26 وحتى 36 دولار/سا. فالظاهرة الرهيبة هي أن توطن معاملك ومصنّعاتك في دول رخيصة العمالة، هذا أدى إلى إفقار وإملاق ما كان يسمى بالطبقة العاملة المترفة بعض الشيء.

الآن نوعية الوظائف التي من الممكن أن تجدها في سوق العمل هي الوظائف التافهة أو الرثة، كوظيفة في مطعم همبرغر أو في محطة وقود، نوعية هذه الوظائف لا تعطيك مزايا عمل، حيث لا يوجد تأمين صحي أو تأمين بطالة، حقوقك هي ما تأخذه من هذه المياومية أو حتى «الساعاتية» إن جاز التعبير.

ريغان أرسى قيمة ضمن إطار التنافس الشيوعي الرأسمالي في حينه، هذه القيمة المستنامة التي أيقظها من سباتها وأطلقها للعنان: (دعه يعمل، دعه يمر) أي اقتن المال كيفما أتى، وبالتالي بتنا نجد اليوم خريجي جامعات من كليات الاقتصاد والتجارة، خرجوا إلى الأسواق ليعملوا موظفين، وبعد أيام قليلة ترى أنه يملك B.M.W لأن الوجاهة هي الأساس، والبروز هو الأهم، لا أن تصل إلى تلك المرتبة مع الوقت، لأن ريغان يقول: «عش حياتك، وتمتع بمباهج الدنيا قبل فوات أوانها». بينما على سبيل المثال فرانكلين روزلفت عندما أرسى العقد الاجتماعي كان هناك حث للعمل والاجتهاد، الذي يفضي بك إلى أن تكون على سوية اجتماعية ومادية معقولة. كل هذه القيم أزيحت وأدخل المذهب الريغاني، وسحبت معها الشرائح التي كانت أقل يمينية في المؤسسة الحاكمة وأقصد تلك التي كانت حاضرة في الفترة الطويلة لكلينتون، والنتيجة أنه ذهب ما يسمى بـ(اليسار) إلى اليمين، ولم يعد هناك موقع أو مرحلة وسطى أو برزخ، بل أمسك اليمين بيساره وأخذه يميناً، فشهدنا فترة بدت وكأنها نوع من الاعتدال في السياسات، لكن في حقيقة الأمر كل ما فعلته أنها طوّلت فترة هجوع الأزمة، قبل أن تعود وتظهر بشكل مدمر مع عودة اليمين المتشدد إلى السلطة بكل أفكاره ومفاهيمه عن الداخل والخارج، وقد تستغربون من المشابهة التاريخية التي أريد إجراءها، مع فارق القياس...

تكاد الولايات المتحدة اليوم، تشبه حال بريطانيا في الفترة ما حول الحربين العالميتين الأولى والثانية، ففي حينه كانت بريطانيا الإمبراطورية العظمى التي لا تغرب عنها الشمس، إذ كان ربع المعمورة تحت هيمنتها، وقتها قام اليمين المتشدد الصقوري البريطاني وعلى رأسه (تشرشل) الذي يتفاخر البريطانيون به، بعملية تدمير ذاتي منظمة وممنهجة للامبراطورية البريطانية دون وعي أو إدراك، فقد انطلق من أساس تصفية أي خصم محتمل، لكن الذي حصل أنه ضخّم بشكل غير معقول من حجم الخطر الألماني: القيصر أولاً حين كان لورداً في البحرية، ومن ثم النازي حين صار رئيساً للوزراء، رغم أن النازيين الذين يكنون احتراماً شديداً للتقاليد البريطانية، كان همهم وهدفهم هو ستالين والاتحاد السوفييتي، وليس بريطانيا، إلا أن اليمين المتشدد برئاسة تشرشل، وبعكس إرادة الجناح (الحمائمي) الذي كان يمثله (تشمبرلين)، قاد عملية الانطلاق بلا قيود إلى الاصطدام مع ألمانيا مرتين بما كلفه ذلك من أموال طائلة لا نهاية لها، ومن بشر وعتاد رهيب وتضحيات جسيمة... لقد خرجت بريطانيا من فرنسا بشكل مذل وقامت بعبور المانش، مما استدعى وقوف تشرشل في مجلس العموم البريطاني ليقول: «لا أملك إلا العرق والدم والدموع لكم»..

أوصل تشرشل الإمبراطورية البريطانية لاستجداء العون من البنت الصغرى (الولايات المتحدة) التي تركت بريطانيا تستنزف نفسها إلى آخر المطاف في كلا الحربين، حيث كان رأي التيار الانعزالي اليميني الأمريكي «إننا هنا، قارة بموارد لا محدودة، ولا نحتاج إلى الأوربيين الذين هربنا من جحيمهم، ولا مصلحة لنا بما يجري بينهم»... لقد طغى هذا التيار الانعزالي من 1919–1940، وفي عام الـ 40 حدث تحول ذهني رعاه روزفلت وهو الدخول إلى الحرب في الوقت المناسب، ساهم في تفعيله الهجوم الذي قامت به اليابان على أراض أمريكية..

ما أقصده، هو أن اليمين المتشدد في الولايات المتحدة أو داخل المؤسسة الحاكمة، أو حزب الحرب الأمريكي الذي يتراكب على الحزبين الرئيسين، يكرر ما فعله اليمين البريطاني من قبله.

اليمين المتشدد هو الذي يقود الولايات المتحدة الآن، وإن استمر على هذا المنوال سيؤدي إلى التهلكة بالمعنى المجازي للكلمة.. أدرك أن أمريكا لا يمكن لها أن تصبح المكسيك مثلاً، أو حتى كندا، ولكن إن لم يُكبح جماح هذا اليمين خلال فترة قصيرة، فهم بلا جدال سينتقلون من مصاف القوة العظمى والمقررة في جدول الأعمال الكوني إلى قوة رئيسة مؤثرة، أو ربما الأولى بين متساوين، لا تقرر وحدها شيئاً، بل ستكون أمام غابة من القوى الأخرى.. لا تتفوق على غيرها باستثناء السلاح النووي وغيره.

● هذا التوصيف يفضي حسب رأيك إلى استنتاج أن السمة الامبراطورية في أمريكا ستتراجع، ولن تنهار؟

ما يجري الآن هو عملية انحسار لا وقوع، لهذا المد الامبراطوري الأمريكي، هناك فرادة فيما يخص الامبراطورية الأمريكية عما سواها من الامبراطويات السابقة.. فهي لم تحاول أن تقيم مشاريع احتلالية أو استيطانية كسابقاتها، وحتى في العراق وأفغانستان، فالأهم بالنسبة لها هو القواعد والنفط.. أن تمسك بأعنة النفط والغاز... (هذا لي بقبض اليد)، وأن تنشر قواعد لها في أرجاء المعمورة تكون نقاط ارتكاز بتدخلات سريعة وناجزة عند الضرورة.

إن لم يوقف هذا المسار الذي لم يحقق إجماعاً لا داخل اليمين، ولا حتى داخل حزب الحرب، ستكون العواقب وخيمة على مشروع الامبراطورية الأمريكية.

جزء كبير من حزب الحرب الأمريكي كان وما يزال يؤمن بالعمل وفق مفهوم «إسقاط القوة»، أو الذهاب بالخصم إلى حافة الهاوية عبر استمرار التلويح بالعصا والتهديد باستخدام القوة، وبالتالي، هذا الخصم سترف جفونه بنهاية المطاف، وسيستسلم... بوش أعاد قولبة وتفعيل هذا الاتجاه، فقد اعتقد وفريقه أنه بغياب الاتحاد السوفييتي سيتفردون بالسيطرة الكونية، وإن قالوا للعالم كن، فسوف يكون!

● تحدثت بعض الشيء عن الصراع بين النخب الأمريكية، وفي مراكز اتخاذ القرار في الداخل الأمريكي، كيف يتجلى هذا الصراع أثناء اتخاذ القرارات الكبرى إزاء الخارج؟!

المؤسسة الحاكمة الأمريكية ليست كتلة صمّاء، هناك أجنحة وتباينات ومراكز ثقل معينة تعبر عن أوزان في المجتمع الأمريكي.. فما هو يمين على سبيل المثال تتعدد ألوانه، في داخل هذا اليمين هناك الواقعي والتدخلي... وهذا ينطبق على المؤسسة ككل، إذ يوجد فيها من هو جامح لاستعمال القوة، وبين من يفضل أن يكون قفازه من حرير، لكن قبضته من حديد. ثمة الكثير من التباينات في الأسلوب والتكتيك...

مثلاً أوباما هو خير معبّر عن المدرسة الواقعية في المؤسسة الأمريكية الحالية يقول: هذا النهج من التفكير مغلوط، مشروعنا الامبراطوري يتفكك وينكفئ ولا يتقدم إلى الأمام..

● هل هذا الكلام – كلام أوباما- يرضي المجمع الصناعي العسكري الأمريكي، وما دور هذا المجمع في اتخاذ القرار؟

حجم الرهونات العقارية في الولايات المتحدة الأمريكية 450 تريليون دولار على عقارات قيمتها 50 تريليون دولار.. وهذا أعلى من السقوف المعتادة إمبريالياً بثلاثة أضعاف!

دوره أساسي ومقرر، لكن هناك حالة من الاصطراع داخل المؤسسة العسكرية الأمريكية وقد مضى عليه نحو أربع سنوات ولم يحسم بعد، وتجد له ضحايا يسقطون باستمرار، وما زال على أشده. المؤسسة العسكرية الأمريكية هي اللب والنواة اللبية داخلَ ذلك المجمع، هذه المؤسسة عندما ارتطمت بجداري العراق وأفغانستان، ولم تحقق فيهما نجاحاً واضحاً، وهي عموماً فاشلة، ولم تحقق تاريخياً نصراً يذكر، حتى في الحرب العالمية الثانية التي ربما حدثت فيها بعض المعارك المستثناة من هذا الفشل، فالأمريكيون في المسرح الأوربي والشرق الأوسطي دخلوا بخفر متأخرين ومن محور شديد الثانوية قياساً لما عليه الواجب، من أنجز النصر في المسرح الأوربي هو الاتحاد السوفييتي، وليس الأمريكان.

إذاً كسجل تاريخي لا توجد حرب إقليمية خاضتها المؤسسة العسكرية الأمريكية، ونجحت فيها!

• وبعد اصطدامها بجداري أفغانستان والعراق، ما هو حالها وماذا يدور في جنباتها؟

اليوم، ثمة حوار مكتوم ساخن جداً ولم يحسم بعد، وهذا يدخلنا في موضوعة الحرب القادمة من عدمها... وهناك في هذه المؤسسة من يرى أن الوضع هكذا لا يسير بدقة، ولابد من وقفة مع النفس لمراجعة ما حصل، وإعادة الحسابات على مستوى البشر والمعدات، خاصة وأن العراق استنزف الدبابات والعربات والآليات...

داخل المؤسسة العسكرية هناك واقعيون، وهناك (تدخليون)، وداخل النخب السياسية هناك واقعيون وتدخليون بالمعنى اللطيف للكلمة.

• لكن المشكلة أن الجميع، الواقعيين والتدخليين حسب تعبيرك الذي تفضلت به، يقفون عاجزين، ولا يجدون حلولاً للأزمة الاقتصادية – الاجتماعية المتصاعدة في الداخل، ألا يقلل هذا من الهوة بينهم؟

التيار الذي يمثله (أوباما) ملزم مع بداية عهده، أن يبتدع أشكالاً تحسينية للجم هذا الاندفاع نحو الهلاك... كيف يتأتى ذلك؟ لا أعرف! لكن في ظني أن أول ما يجب عمله هو رفع الضرائب، مجتمع يحارب (ضد الإرهاب) على جبهتين والضرائب على الأغنياء محدودة... هذا لا يمكن أن يستمر.

هناك 3 تريليون دولار إنفاق! نحن لا نتحدث عن أرقام عادية.. نتحدث عن أمر شديد الهول، الشرائح الغنية من المجتمع، الضرائب عليها محدودة، ليست الحال اليوم كما كانت في الماضي 70 % 80 %، الآن أكبر ضريبة على هؤلاء لاتتعدى 25 – 30 %. كما لابد أن يقوم أوباما بابتكار أشكال من رفع الفوائد بحيث يجعل من هبوط الدولار أقل وطأة كما هو الآن، لأن سمعة الولايات المتحدة متوقفة على موضوع الدولار..

ذات يوم من نوفمبر 67 وقف ويلسون رئيس وزراء بريطانيا باكياً في مجلس العموم وقال: «إنه يوم مؤلم في حياتي لكني شديد الاضطرار له، أودكم أن تهدؤوا وتسمعوني... أنا مضطر أن أعلن تعويم الجنيه الاسترليني»... هذا اليوم آتٍ على مستوى الدولار.

• إنك تتحدث، وكأنك على يقين أن أوباما سيصبح رئيساً للولايات المتحدة؟!

كنت في أحد المؤتمرات وسئلت عن ترشيحه، وعن السيناريوهات التي قد توقفه عن الوصول إلى سدة الرئاسة ، فأجبت:

1 – أن يقتل وهذا ما لا أراه، لأنه قد يتسبب بحرب عرقية في الداخل الأمريكي.

2 – أن تزوّر الانتخابات، وهذا ما أستبعده بمعناه الواسع.

3 – أن يحصل حادث أمني جلل في الولايات المتحدة الأمريكية..

4 – أن يقبض على أسامة بن لادن، لأن هذا سيصب بمصلحة (ماكين)..

5 – حرب شبه ناجحة (على الأقل) على إيران..

• أمام هذه الأزمة المستعصية ذات الرأسين، رأس الدولار الذي يترنح وأخطار التعويم التي تتهدده، ورأس الانتشار العسكري الهائل في جهات الأرض الأربع، ما الذي ينتظر الولايات المتحدة، وما هي خطوتها التالية خاصة وأنهم لا يقبلون بأقل من امتلاك النفط؟

المشهد العام للواقعية الأمريكية يتجه بإطار الخروج من العراق... ولكن هذا لا يعني الخروج دون أي أثر لنفوذ، بل الخروج من الحالة العسكرية الامتدادية.

أما القبض على النفط باليد وليس بالتضرع، فليس بالضرورة أن يحسم بالقوة العسكرية... يمكن أن تستبدل الولايات المتحدة الاحتلال العسكري (السافر) باحتلال الشركات بما يشبه ما حصل مثلاً ما بين 21 إلى 58، حيث كان هناك نظام تحالف، فيه شيء بين الخفر والصراحة، وله استقلالية ذاتية بعض الشيء، إنما المصالح الطاقوية لها الأولوية المطلقة. بتقديري الفئوية السياسية الصاعدة أو الحاكمة في العراق راضية بذلك، لأنهم يشعرون أنه لكي يمسكوا جيداً بأعنة السلطة، ويحافظوا على استدامتها، لابد لهم من خفض جناح الذل والمسكنة، وبالتالي نرى حسين الشهرستاني هو الذي يقود عملية إدخال شركات النفط الكبرى إلى العراق... كلما قبضت الفئوية السياسية على مقاليد الحكم بشكل أمتن، كلما أرادت التخفف من القبضة العسكرية الأمريكية فوق عنقها، مقابل أن تترك لهم حيزاً للسيطرة على النفط.

الواقعيون في أمريكا، كما الحال مع الفئوية السياسية الحاكمة، لا يريدان هذا المغطس. التدخليون يقولون إذا خرجنا فالطوفان من بعدنا، ويستذكرون موضوعة فيتنام، هذا قلب العالم العربي، ماكين ومن يمثله يتحدثون بهذه المقولة، وللجواب عن سؤالك كيف يقبض على النفط ويترك القوات خارجاً، هو مضطر لذلك، ويريد استخلاص أفضل الشروط الممكنة للخروج من الباب، ولكن البقاء على الأرض بشكل (شركاتي) بمعنى آخر احتلال اقتصادي طاقوي.

• هذا مشروط بأن تتحول كما ألمح بذلك الرئيس (ماديفديف)، أن تعترف أمريكا بأنها ليست القوة الاقتصادية الأولى في العالم.

هناك مقال لواحد من أهم منظري الواقعية الأمريكية، ريتشارد هانز (عالم بلا أقطاب) يقول فيه: ستكون بالفعل هناك حالة من الديناميكية والتدافعية والسيولة للقرارات الكونية، مختلفة، فيها قدر كبير من التخلق. وهذه فرصتنا كعرب وكمسلمين.

• هذا يقودنا إلى علاقة الولايات المتحدة مع الحلف الأطلسي والاتحاد الأوربي والثماني الكبار، وما يقال الآن عن إقامة اتحاد متوسطي، والعلاقة اللاحقة مع روسيا.. كيف تقيم طبيعة العلاقة الأمريكية مع كل هذه الدول والتكتلات؟

رجالات المؤسسة الحاكمة الأمريكية بكل تلاوينها مهووسون بالقيامة الروسية. بالنسبة لهم روسيا ليست فقط خطراً محتملاً، بل خطر دائم. هناك درجة من الهوس بموضوعة روسيا، وهم حثيثو الخطى نحو كيفية محاصرتها وتحجيمها؟ إحساسهم هذا له علاقة بطبيعة روسيا كدولة أوراسية. هي عالم العرب والمسلمين والصين وروسيا والهند إن شاءت، وإن تخلصت من السفه الكومنولثي. ما أقصده أن أوراسيا هذه، روسيا هي واحدة من أهم مفاصلها، وهي تتصف بالعزة والتاريخ التليد، والموارد اللامنتهية، والبنية العلمية الهائلة. أما مفاعيل ذلك على الأرض فهناك تراجع ميداني، إنهم يتسولون الجنود تسولاً..

> **المؤسسة العسكرية الأمريكية لم تحقق تاريخياً أي نصر إقليمي يذكر..**

• هل هناك الاهتراء الذي تتحدث عنه في الحلف الأطلسي كقوة عسكرية، وعدم كفاية الحاجات والمتطلبات العسكرية الأمريكية يكرسان مأزق الولايات المتحدة وحلف الأطلسي عموماً، ما معنى الطروحات الأوربية في هذا السياق، وخاصة فكرة «الاتحاد من أجل المتوسط»؟

الاتحاد المتوسطي هو ليس بالضد مع المشاريع الأمريكية. هو نوع من تقسيم العمل الوظيفي. لقد أوكل لساركوزي موضوعة المغرب العربي.. ثمة عملية تطبيع يقودها ساركوزي ضمن أجندة متفق عليها مع القوى الإمبريالية.

• مساع فرنسية ذاتية ذات بعد استراتيجي لملء الفراغ فيما لو انسحبت أمريكا؟

انتهى عصر ديغول... وقد كان الشاذ في فرنسا وليس القاعدة. الذهنية اليمينية الفرنسية العنصرية تشكل السواد الأعظم من الجمهور الفرنسي اليوم، وقد كان الحال كذلك إبان الاحتلال النازي حيث لم يفعّل المقاومة سوى الشيوعيين، وهذه الذهنية اليمينية هي السائدة اليوم.. الفرنسيون يعيشون على أوهام فرانكوفونية دون أن يكون لهم أي تاريخ يعتد به.

• في الانتقال لموضوع آخر، الأمريكان استعانوا بحلف الأطلسي في أفغانستان، كما استعان الإنكليز في الحربين العالميتين بالأمريكان، والأمريكيون استعانوا بإسرائيل للقيام بعدوان تموز 2006، ما المعنى التاريخي والمعاصر لكل ذلك؟

حرب تموز مفصل يفهمنا ما يحصل اليوم، قيمتها إنها أوضحت مصاعب المشروع الأمريكي، لكنها لم تصل بعد لاستثمار مفاعيلها كاملة..

هناك في أمريكا من يقيم العلاقة مع إسرائيل بقوله: نحن أوكلنا لكم (لإسرائيل) مهمة، لكنكم أصبتم بفشل ذريع، ما العمل؟! نحن نجهزكم لتكونوا الوكيل الإقليمي بامتياز للإمبراطور، رأيناكم بـ 91 أو حتى بـ 2003 لا تستطيعون تنفيذ المهمات لوحدكم، وكان أداؤكم سيئاً كلياً، لذلك اضطررنا للحضور بأنفسنا وبأساطيلنا... من هنا تقرأ كتاب «موشي ماير»، و«وايت» حيث يقولان: نفوذ اللوبي الإسرائيلي في الولايات المتحدة نفوذ جامح ومفض إلى اتباع سياسات مهلكة.. حتى عام الـ67 لم يكن في أمريكا شيء اسم الهولوكوست، لكن بعد انتصارات (إسرائيل) في حزيران 1967 تحول ذلك إلى صرعة أو إلى جنون.. وهذا برر دعمهم اللامحدود لإسرائيل بالغرس في قناعة النخب الأمريكية فكرة إن إسرائيل لا تمس.. وهي رصيد استراتيجي لأمريكا... وضرورة مساعدة الدولة التي تمثل البقية الناجية من هذه المحرقة.. هو تمكين إيديولوجي لمشروع سياسي. المؤلفان من أعقل عقلاء المؤسسة، ابتدأا يلقطان علائم وإشارات وهي أنه في اعتماد المؤسسة الحاكمة للمشروع الوظيفي الإسرائيلي في المنطقة فإنهم في غيهم يعمهون.. فأنتم لا تقدرون أن تعتمدوا على فعالية ونجاح هذا المشروع الوظيفي المناطقي.. أما حرب الـ 67 فقد كانت استثناء تاريخياً وليست القاعدة..

نجاح الصهاينة في الـ67 رفع المشروع الإسرائيلي إلى مصاف القدسية عند الأمريكيين، فيما حرب تموز زرعت عند بعض عقلاء العقلاء أن هذا المشروع سيدخل في نفق مظلم، ونحن نخسر أكثر من مليار مسلم.. منهم أكثر من ثلاثمائة وعشرين مليون عربي، وهذا بحر لا ينتهي.

أما كيف سيؤسسون بكلامهم لخلق قاعدة إيديولوجية فهذا أمر قد يطول.. يقولون: إسرائيل راكبة على ظهرنا وآخذة بقرارنا، وتقودنا إلى مهالك، لذلك يجب أن نعيد إسرائيل إلى حجمها الطبيعي دولة عادية شرق أوسطية ولا يعوّل عليها، لذلك يجب تخفيف هذا العبء بتطبيع علاقاتها مع العرب، والعمل على خلق نوع من العلائق المعقولة في العالم العربي والإسلامي.. وأنا أسمي ذلك (الصفقة الشاملة) بين معسكر ممانعة أثبت جدارة، وبين قوة تبدو على السطح إلى الآن أنها ما زالت القوة الأهم... وهذه الصفقة تمتد من طهران إلى غزة. فيها توضع معادلة جديدة تشبه قسمات فترة ما بين 58 – 63 التي انتهت بمصرع كنيدي.. وحصل فيها اعتراف أمريكي (واقعي)، أن هناك حركة قومية عربية، وأنه ينبغي توفر درجة من التعايش، وبرأيي أن أحد أسباب مقتل كندي يرتبط بهذا الموضوع. الصفقة الشاملة هذه، البعض هنا يشعر أنها أصبحت ناجزة. أنا لا أراها ناضجة بعد، ولا ناجزة. وفي العموم فإن النخب السياسية والمؤسسة الحاكمة في الولايات المتحدة ينشأ بينها شد وجذب عن كيفية التعامل مع غرب آسيا، التي هي المفتاح الأهم لجزء من المعمورة الذي هو (أوراسيا)، ومفتاح غرب آسيا هو إقليم الشام، ومفتاح مفتاح المفتاح هو سورية، ومن هنا أهمية سورية التي جزء كبير من أبنائها ونخبها لا يقدّرون قيمتها.

• الآن لابد من الحديث عن الوضع الإقليمي.. نحن نعتقد بأن ما يجري من تهدئة الآن، هي تهدئة واهمة بهدف الإعداد لموضوع أكبر، وهو ضرب إيران. هناك علاقة بين ضرب إيران وما يجري من حديث عن التهدئة.. لأنها معطى كعنوان، بينما على أرض الواقع تهويد الأرض قائم في فلسطين. وفي لبنان يجري قضم للحالة الوطنية بشكل متواصل.. وفي العراق يجري الحديث عن التهدئة وفي الحقيقة يجري التجهيز للسيطرة على النفط... إذا كان هناك جبهة ممانعة ومقاومة، ونحن نقرّ بذلك، فيجب من وجهة نظر الأمريكيين فك عرى التحالف بين عناصر هذه الجبهة.. على هذه الأرضية كيف ترى الوضع في الإقليم، وما دور خيار المقاومة والشارع العربي؟!

كسياسة أمريكية عامة، لم يتغير شيء، هناك نوع من السيطرة على الإقليم.. ومحاولة السطوة على مصيره ككل وتوكيله مع الوقت إن نجح لإسرائيل. فسياسة الوكلاء المعتمدين ماتزال قائمة عبر كل العالم كاليابان وتركيا وبريطانيا وإسرائيل والهند...

الملفت أن أي مشروع امبراطوري تاريخي، كانت الأطراف هي التي تغذي المركز، في الحالة الأمريكية الأمور معكوسة قليلاً، إذ ترى أن المركز يغذي الأطراف... ويحاول أن ينهض بها.

مثلاً خذ الموقف من المفاوضات السورية – الإسرائيلية بوساطة تركية، الولايات المتحدة في العمق هي مؤيدة ومباركة، ولكنها لم ترغب أن تعلن ذلك التأييد لسبب واحد: هو أن القوى التابعة لها في الإقليم قد لا يعجبها ذلك، لرغبتها الحميمة في إسقاط النظام السوري، وهنا نعني بالتحديد آل سعود.

بمعنى آخر: تردّي أحوال الولايات المتحدة يجعلها تنصت إلى أتباع لها، فهم يشعرون أن هذا المشروع الأمريكي أن ترك يسقط فيسقطون.. هم عكس كل الشائع أن تنتصر.. وأن تقفز على إيران!!

آل سعود يدفعون باتجاه ضرب محور الممانعة بكل قوتهم.

الثالوث الذي تمثله المؤسسة الأمريكية الحاكمة ككل، مع امتدادها الإسرائيلي، والتبعوي العربي... هذا الثالوث يود أن يبتدع أشكالاً من درء المخاطر المقبلة عليه، هناك سباق بين القدرة والرغبة، بين واقعي يقرأ الصورة بشكل أفضل وآخر متمسك بأدواته وأفكاره (الحربجية) ذاتها. نحن الآن بمرحلة من البلبلة، ولا أدري لمصلحة من ستحسم المعركة. إننا الآن في مرحلة البرزخ.

> **يجري إفقار الطبقة العاملة الأمريكية التي كانت مترفة، بعد هروب الشركات الأمريكية إلى العالم الثالث حيث العمالة الرخيصة..**
>
> **يبقى الأهم بالنسبة للإمبراطورية الأمريكية.. القواعد والنفط..**

• لكن تغيرات المؤسسة العسكرية التي جرت مؤخراً، تعطي مؤشرات كبيرة وخطيرة حول غلبة خيار الحرب..

ليس تماماً، فالاصطراع الداخلي الأمريكي مازال قائماً، ورئيس الأركان الحالي الذي ذهب إلى إسرائيل مؤخراً.. خرج بانطباع غير مرض تماماً للأمريكيين..

• واضح من سياق التحليل أن إسرائيل والتبعية العربية في عجلة من أمرها لضرب إيران خشية تزايد الدور الإيراني الذي من وجهة نظرهم، سيقضم كل ما لهم من أدوار في المنطقة، أما أمريكا فخوفها يتأتى من كون النفط العراقي غير كاف لإنقاذ المشروع الأمريكي.

المهم في إيران ليس القدرة النووية، الإيرانيون يريدون الخيار الياباني – البرازيلي، أي امتلاك القدرة على صنع القنبلة لكن دون تصنيعها كما فعلت باكستان، (إيران – النظام – القدرة النووية) عند حلف الأطلسي لا تجتمع معاً، أزل النظام لا مانع! أما أن تترك إيران – النظام التي هي بين قزوين وبين الخليج والتي تتمدد في الشرق المتوسط وتصنع القرار بالموضوع العربي الإسرائيلي.. وتملك السلاح النووي، فبالتأكيد: لا.

إيران بالنسبة لهم تتبع سياسات (القومية العربية)، فمن هي (من وجهة نظرهم) حتى تتدخل في الصراع العربي الصهيوني؟ من هي حتى تؤذي (وكيلنا المعتمد) في المنطقة؟

وهذا الوكيل لا يثبت، مع قدرة نووية موجودة بدولة معادية كإيران، سيكون هناك هروب منظم للنخب الإسرائيلية إلى الغرب.

• ماذا تقول لبعض مدّعي الثقافة في الوسط العربي الذين يتحدثون عن أن الخطر الإيراني أكبر من الخطر الإسرائيلي.

أقول فيهم ما لا يقال!! لاشك أن الإيرانيين هم أصحاب مشروع تأثيري على مستوى قاري متعدد المناحي، وعالم الإسلام والعالم الثالث ساحة فسيحة لنكون فيه دولة بارزة، ولكن هذا المشروع لا يتحقق إلا مع حليف عربي... وهو سورية. فلسورية إطلالة على المسرح العراقي، وهناك احتكاك إما بإشارات سلبية أو إيجابية... لذلك كان عليهم التفاهم مع السوريين، أنت كإيراني إذا حملت الراية الإسلامية يجب أن يكون معك شريك عربي، ففي النهاية قلب العالم الإسلامي هم العرب.

• أخيراً، ما هي رؤيتك للعلاقة التركية الأمريكية؟ والدور الإقليمي التركي في المنطقة؟

الأمريكان بنوفمبر 2002 كانوا أول المهنئين والمحفزين لأردوغان بفوزه في الانتخابات التركية، وفي هذا الصدد هناك دراسة جيدة لزوجة زلماي خليل زادة صدرت بـ 2004 تقول: إن الأتراك إن تقمصوا الدور جيداً ولم يكرروا موقفهم (الهفوة) من احتلال العراق.. إن عرفوا أن يلعبوا الدور جيداً فهذا النموذج في الحكم هو الأقل سوءاً في العالم الإسلامي.. والحقيقة أن الأتراك يقومون بدور مرض للغرب، وخاصة في انفتاحهم على إسرائيل.. إن محك قبول أوراق اعتماد أي حاكم تركي لدى المؤسسة الأمريكية الحاكمة هو الموقف من إسرائيل...

تركيا ليست دولة سهلة في نهاية المطاف.. ثمة فضاءات لها يمكنها العمل فيها بحرية بشرط عدم التعارض مع السياسات الغربية. الأتراك بشقيهم العسكري والسياسي، لم يتجاوزوا السقف حتى الآن، حتى في علاقتهم مع سورية، الولايات المتحدة تشعر بأن هذا نوع من العلاقات والتطبيع السوري التركي يمكن أن يعادل التقارب السوري مع إيران..

■■

باريس 13: بين «كسب الوقت» و«اللاعودة»!

◄ عبادة بوظو

ضمن استفحال معالم الأزمة الأمريكية بمختلف جوانبها واتجاهاتها، وتعثر مشاريع واشنطن الشرق أوسطية بمسمياتها المختلفة، تتجه الأنظار إلى العاصمة الفرنسية باريس التي تستضيف هذا الأسبوع اجتماعات ما يسمى بـ«الاتحاد من أجل المتوسط» سعياً فرنسياً وراء تحقيق جملة من الأهداف التي تبدأ من الرغبة في نفخ الروح أكثر فأكثر بنزعة الهيمنة الفرنسية ولا تنتهي بتنازع المصالح وإعادة تقاسمها وأدوارها مع المنافس الأمريكي المقترب من حد الاحتضار.

المكسب السياسي والأمني المباشر الذي تبتغيه باريس من الاجتماع المقرر عشية الاحتفالات بسقوط الباستيل، وللمصادفة بالتزامن مع الذكرى الثانية لشن عدوان تموز الفاشل على لبنان، يتمثل في جمع عرب حوض المتوسط، ولاسيما سورية ولبنان، مع الإسرائيليين على طاولة واحدة، رغم تأكيد دمشق عدم رغبتها وعدم جهوزية الوقت لإجراء لقاءات مباشرة بين المسؤولين السوريين والإسرائيليين على هامش الاجتماع المذكور، واكتفائها بـ«مفاوضات اسطنبول غير المباشرة».

أما المكاسب الإستراتيجية من المنظور الفرنسي التوسعي المتجدد فلا تتوقف عند مساعدة الكيان الإسرائيلي مرة أخرى في محاولته أن يحقق سلماً وعبر الوسائل الاقتصادية ما لم يستطع تحقيقه حرباً وبالوسائل العسكرية، (مع الأخذ بعين الاعتبار أن «إسرائيل» الواقعة في الجنوب الفقير والمستغل جغرافياً تصنف من دول الشمال الغني والمستغل اقتصادياً وسياسياً واستعمارياً)، بل يتعداه إلى محاولة منح تركيا «جائزة ترضية» تعوضها عن رَفض عضويتها الكاملة في الاتحاد الأوربي من جهة وتشكرها على جهودها في تسيير المصالح الأطلسية والإسرائيلية في المنطقة من جهة ثانية، وإلى محاولة استقطاب دول المغرب العربي وتعزيز تبعيتها الاقتصادية للسوق الأوربية- الفرنسية ضمناً- وإبعادها عن أي سوق عربية مرجوة أو محتملة.

وبينما انتهت قمة الثماني في هوكايدو اليابانية بمشاركة فرنسا بالطبع إلى خلاصات فضفاضة تذر الرماد في العيون تتحدث عن التزامات بخفض الانبعاث الحراري الكوني ولكن في عام 2050، وإلى الدعوة إلى التوازن بين إنتاج النفط واستهلاكه في وقت تشكل هذه الدول أكبر المستهلكين، ومحاولة واشنطن تحميل تبعية ذلك للاقتصادات الصاعدة بقوة كالصين والهند، مقترنة بدعوات لزيادة المحاصيل الزراعية لمواجهة أزمة الغذاء العالمي المفتعلة من جانب مراكز التحكم الفعلي برقعة الشطرنج العالمية، فإن جدول أعمال اجتماع «الاتحاد من أجل المتوسط» يتضمن أربع نقاط فضفاضة أيضاً هي: الطاقة والغذاء والهجرة والبيئة.

وفي بعض التفاصيل فإن فرنسا تتبنى في موضوعة الطاقة على سبيل المثال تسويق فكرة قيام دول جنوب المتوسط، مقابل تزويدها بمحطات كهروذرية، بإنتاج الطاقة الشمسية وتقديمها عبر شبكات الربط الكهربائي المُنتج لدول شمال حوض المتوسط التي ستكفي نفسها عناء استهلاك مصادر الطاقة التقليدية من النفط والغاز في ضوء ارتفاع أسعارهما عالمياً، وعناء معالجة الآثار البيئية والصحية المترتبة على المحطات الكهروذرية فوق أراضيها هي، على أن لا تتمتع دول الجنوب بحق الانتفاع من الطاقة المنتجة من شمسها وفوق أرضها، بعد أن استنفد الشمال الغني أو يكاد مصادر طاقتها تحت الأرضية!!

وفي موضوعة الهجرة وتحت يافطات متعددة من بينها ضرورة «مكافحة الإرهاب» والإجراءات الأمنية المطلوبة لاستئصاله مع مختلف الأمراض الاقتصادية والاجتماعية والتكيفية المرتبطة بمسألة الهجرة، تسعى دول شمال المتوسط إلى الحد أكثر فأكثر من تدفق الهجرة إلى داخل بلدانها، بل وإيجاد «جدار فصل عازل» مضاد لهذه الظاهرة على أن يتوقف عند دول جنوب حوض المتوسط، بعد تنميتها ومدها بالمساعدات المشروطة التي تخلق فيها بيئات مساعدة للهجرة إليها من الدول المجاورة والواقعة إلى جنوبها هي.

أما عن موقع ذلك من التحولات والتطورات الجارية في المنطقة، فقد بات معظم المراقبين يرددون ما أشرنا إليه منذ البداية من أن «التهدئة» المزعومة على غالبية الجبهات في المنطقة إنما تبتغي فك التحالفات فيما بين قوى ودول المقاومة والممانعة فيها تمهيداً لجولة عدوانية كبرى جديدة لا تجد تل أبيب أو واشنطن بداً من المغامرة بها على الرغم من توجسهما من أن آثارها ستطال مستقبل المنطقة والمصالح الغربية فيه وربما خارطة التوازنات في العالم ولاسيما أن المناورات السياسية من جانب مختلف أطراف معسكر المقاومة والممانعة ماتزال في مرحلة «كسب الوقت» ويُستبعد حالياً أن تصل إلى نقطة «اللاعودة».

o.bozo@kassioun.org

جرافة «حسام دويات».. علامة على الطريق

◄ محمد العبد الله- خاص قاسيون

لم تستطع تهدئة غزة «الهشة» التي أسقطت من بنودها الضفة الفلسطينية المحتلة، أن تمنع حسام تيسير دويات العامل، الكادح، ابن بلدة «صور باهر» القريبة من القدس المحتلة من أن ينفذ عملية بطولية، بسلاحه المتوفر، الجرافة، التي يعمل عليها منذ أسابيع عدة. إذ قام شهيدنا البطل، بتلقيم تلك الكتلة المعدنية الهائلة، بذخيرته الحية التي يمتلكها كل مواطن فلسطيني: رفض الاحتلال ومقاومته، والتي هي النتيجة الطبيعية لممارسات العدو الوحشية، التي طالت البشر والحجر.

جاءت العملية البطولية، لتضيف إلى سجل المقاومة الشعبية الباسلة، صفحة جديدة، تحمل ابتكاراً استثنائياً، يشير إلى قدرة المقاومة على ابتداع أشكال متنوعة من العمل، انطلاقاً من الإمكانيات المتوافرة. ولهذا عجزت- وستعجز- كل إجراءات القمع، والجدران الإسمنتية، والبوابات الالكترونية، من وقف عمليات المواجهة المتنوعة، المسلحة والمدنية، للاحتلال. فعملية الدهس والجرف التي نفذها حسام كانت الرد الطبيعي على الانتهاكات اليومية لقوات العدو بحق أبناء الشعب الفلسطيني، والانعكاس المباشر لوحشية آلات التدمير الصهيونية التي تسحق في كل يوم بيوت المواطنين الفلسطينيين. توقيت العملية كان مباغتاً للعدو، فلم يكن يتوقع هذه البطولة النوعية، ولهذا حاولت أجهزة إعلامه المذهولة بما يحصل أمام الكاميرات، من التركيز على «فردية» المنفذ، وعلى «سجله» الجنائي! لكن تنظيم «أحرار الجليل- مجموعات الشهيد عماد مغنية» أكد مسؤوليته الكاملة عن العملية. لكن اللافت لنظر المراقبين، كان موقف قيادة السلطة في رام الله المحتلة، الذي أعلن- كعادته(!)- عند كل عملية استشهادية، تكرار «الإدانة» الفورية لها، والترداد «الببغائي» لما أعلنته حكومة العدو حول منفذ العملية.

حكومات العالم الغربي «الحر» أعادت إنتاج كلامها أيضاً. فنددت بالعملية «الوحشية»، لكنها أغمضت عيونها، وبلعت ألسنتها، عما تنقله الصور لعمليات إعدام الفلسطينيين، سواء بالرصاص، أو بالحصار والإغلاق، الذي يمنع الدواء والطعام عنهم. إن هذه المواقف الدولية، المغلفة بعبارات «لزجة ومنافقة» لاتصب في خدمة السلام العالمي أو الإقليمي، لأنها تدعم بلا حدود، ممارسات القتل اليومية التي تمارسها حكومة الاحتلال، تحت تسميات «الدفاع عن النفس»، التي تتجسد على أرض الواقع ببناء المستعمرات، وإقامة جدار الفصل والضم، وسرقة الأراضي والمياه، وتهويد القدس، وحرمان أكثر من مليون ونصف المليون مواطن من الطعام والدواء. ولاعجب لسلوك هذه الحكومات، التي لاتمارس الصمت فقط تجاه قتل الفلسطينيين، بل صمتت قبل أكثر من خمسة أعوام على دهس المناضلة الأمريكية راشيل كوري، ابنة الثلاثة والعشرين ربيعاً، بشفرة جرافة «كاتربلر» على يد سائقها الصهيوني المجرم، الذي رفض الاستجابة لنداءات راشيل المنطلقة من مكبر الصوت الذي كانت تحمله، لوقف عمليات هدم بيوت المواطنين الفلسطينيين في قطاع غزة. هذه البيوت التي لم تتوقف أوامر هدمها، سواء في الضفة أو غزة، رغم اختلاف وسائل الهدم المتعددة، من صواريخ طائرات الأباتشي والفانتوم، إلى الجرافات العملاقة، بمثاقبها وشفراتها التي تطبق على بيوت المقدسيين باستمرار.

عملية الجرافة النوعية، أنعشت مجدداً مشاعر وطموحات الفلسطينيين، وكل أبناء الأمة العربية، وكل محبي الحرية في العالم، التواقين لحرية أوطانهم. كما أنها كشفت عن مكامن القوة التي يمتلكها أبناء الوطن المحتل، في مواجهتهم للغزاة الصهاينة. ولهذا فإن جرافة «حسام» فتحت مجرى جديداً في أسلوب المعركة المفتوحة مع العدو، وأعطت درساً نوعياً لكل من يريد أن يتعلم، كيفية إلحاق المزيد من الخسائر في صفوف المحتلين. إن مايحمله مكان العملية، مدينة القدس المحتلة، سيساهم مجدداً في تسليط الضوء لما تتعرض له هذه المدينة من تهديد لمراكزها الدينية المقدسة عند المسلمين والمسيحيين، من خلال التوسع في الحفريات، بهدف تغيير معالمها، كخطوة ضرورية لتحويل المدينة إلى عاصمة أبدية ليهود العالم. لقد خاض «حسام دويات» معركة الدفاع عن عروبة فلسطين، وقدسية مدينته، بطريقته الخاصة، المتطابقة بنتائجها، مع المعركة ذاتها التي خاضها قبل بضعة أشهر «علاء أبو دهيم». هذه المعارك التي لن تتوقف طالما أن هذا الشعب قادر على العطاء. ■■

حينما تتحرك الجماهير

◄ القاهرة- إبراهيم البدراوي

على مدى ما يزيد على ثلاثة عقود، بالدقة طوال حكم السادات ومن بعده مبارك، كانت تعلو الأصوات لإزالة البيروقراطية. لم تكن تلك الأصوات التي تصم الآذان موجهة للبيروقراطية والتعقيدات التي تواجه المواطن البسيط في تعاملاته اليومية مع الجهات الحكومية. لكنها كانت تستهدف كل حوائط الصد أمام البرجوازية التابعة ولإخراج الدولة ورأس المال العام تماما من الميدان الاقتصادي، وتحويلها إلى دولة حارسة لمصالح الطبقة الجديدة، وكانت الحجج لذلك دائماً- ولاتزال- هي تسهيل الاستثمار الداخلي والخارجي وتحقيق الازدهار الاقتصادي والاجتماعي وتوفير فرص عمل للشباب!

الخروج الكبير

كانت بداية الخروج الكبير من الميدان الاقتصادي، هي الإنهاء المبكر لسيطرة الدولة على التجارة الخارجية خصوصاً في مجال الاستيراد، بتوزيع 2000 توكيل كانت بيد القطاع العام على أفراد، وهذه المعلومة أوردها الأستاذ هيكل في برنامجه الأسبوعي على قناة الجزيرة. كانت الحجة تتجلى في مقولة إنهاء الانغلاق الاقتصادي، في حين أن وجود 2000 توكيل لشركات أجنبية ينفي ما يسمى الانغلاق الاقتصادي، مثلما تشهد التجارة الخارجية الواسعة لمصر مع أفريقيا ودول المعسكر الاشتراكي (سابقاً) ومختلف دول العالم، وأن سيطرة الدولة استهدفت ضبط الأداء الاقتصادي والحفاظ على موارد البلاد من العملة الأجنبية ولتحقيق التنمية الاقتصادية بشكل مستقل نسبياً الخ... وهو مالا ترضاه أو توافق عليه الامبريالية والصهيونية.

وهكذا يتبين بوضوح كيف كانت بدايات صياغة الطبقة الحاكمة وفق أنسب «معايير الجودة» الملائمة لمصالح الامبريالية والصهيونية ولتكون منذ الولادة تابعة ولا علاقة لها بالإنتاج والصالح الوطني ومصير الشعب.

وبحركة طليقة من كل قيد اندفعت هذه الطبقة لتخريب الاقتصاد، وممارسة النهب. عشرات الآليات استخدمتها هذه الطبقة لإحكام هيمنتها، منها شراء أراضي الدولة وإعادة بيعها بآلاف أضعاف سعر الشراء، وكذا الفساد والأعمال غير المشروعة. قبل وأثناء وبعد تدمير البناء القانوني والدستوري في البلاد وإحلال البناء الملائم تماماً لمصالح الطبقة الحاكمة.

أجريوم.. الغاز كنماذج

لقد تم دفع البلاد إلى هاوية لا قرار لها. لم يعد الجوع والبطالة والإملاق المطلق للملايين وكنس الحقوق الاجتماعية..الخ.. لم يعد ذلك هو التعبير عن الكارثة ولكن ممارسات متواترة تمثل عناصر جديدة في عملية تدمير الوطن.

واقعة شركة «أجريوم» الكندية تشكل نموذجاً واضحاً. وهنا أنوه إلى أن كندا التي تعادل مساحتها قارة ويسكنها ما يوازي ربع سكان مصر تقريباً، جاءتنا بمشروع من أكثر المشاريع تخريباً للبيئة «مصنع كيماويات». فكل شيٍ عندنا رخيص بما في ذلك الإنسان المصري، واختاروا مدينة دمياط ومصيف رأس البر. لكن الكارثة الحقيقية تكمن في جريمة تعامل السلطة لتمرير المشروع. فكانت الخطوات كما يلي:

ميناء دمياط أعطى للشركة القابضة للبتروكيماويات التابعة لوزارة البترول كل التسهيلات اللازمة.

الشركة القابضة للبتروكيماويات أعطت لشركة «أجريوم» الرخصة والغاز الرخيص والموقع والإعفاء الضريبي. بعد أن أوفت أجريوم بما عبر عنه السفير الكندي بـ«العمولات».

هيئة المجتمعات العمرانية أغمضت العين عن نقل أرض المشروع من الشركة القابضة للبتروكيماويات الى الشركة الكندية دون مراعاة الشروط القانونية خصوصاً سداد ثمن الأرض بالكامل.

جهاز شؤون البيئة وافق بعد أن تنازل عن الشروط التي سبق أن وضعها لتلتزم بها «أجريوم».

رئيس مجلس الوزراء وافق

هيئة التنمية الصناعية المنوط بها بموجب قانون إنشائها «الهيمنة الكاملة والإشراف الكامل والمتابعة الدقيقة لجميع المشروعات الصناعية في مصر» لم تحرك ساكناً إلا بعد موافقة رئيس الوزراء.

وهكذا تمكنت الشركة الكندية من إنهاء كل الإجراءات وموافقة كل الهيئات بما في ذلك رئيس الوزراء بالمخالفة للقانون.. ولكن للحقيقة دون أية بيروقراطية سخيفة!!

بيع الغاز المصري للعدو الصهيوني بدوره كارثة. إذ لم تتضح حقائق الموضوع الذي صور بأنه من أسرار الدولة(!) ولم يتم الرجوع إلى مجلس الشعب لمناقشة الاتفاقية، ولم يتم معرفة سعر البيع بدقة، وكذا بنود الاتفاقية. ثم رددت بعض الصحف مؤخراً- ولذر الرماد في العيون ولمحاولة إخفاء الجريمة، بأن شركة مصرية تشتري الغاز من الحكومة ثم تبيعه للعدو الصهيوني، وبالتالي فالعملية ليست اتفاقية دولية تتم مناقشتها في مجلس الشعب. وهذا «عذر أقبح من ذنب» كما يقول المثل الشعبي.

فهل حدثت هذه الكوارث- ومثلها الكثير وبشكل دائم- في إطار محاربة البيروقراطية وتسهيل الاستثمار؟

لكن المهم هو أن الشعب المصري تتصاعد مقاومته. وهنا أهمية أن تكون الجماهير هي الطرف الرئيسي في الصراع. وتم تجاوز أساليب النخبة الحزبية المفلسة القابعة داخل مقرات أحزابها دون فعل ايجابي.

لقد انتفض مواطنو مدينة دمياط وانتصرت إرادتهم ومنعوا إقامة المشروع على أرضهم. وبزغت حركة تتسع يوما بعد يوم ضد بيع الغاز للعدو وتم رفع دعوى منظورة أمام القضاء. وانتفضت الجماهير في مدينة البرلس من أجل الخبز وقطعت الطريق الدولي، والأهم هو بداية تبلور «المعارضة الجديدة» من روافد عدة بعيدة عن أحزاب النخبة التي تلاشت واقعياً.

إن المعركة تزداد قوة يوماً بعد يوم، لأن الجماهير قد دخلتها كطرف رئيسي، وبقي أن يتم لم شتات الحركة الجماهيرية الواسعة حتى يتحقق النصر. وهو ما يجري على أرض الواقع. ■■

تحرير «بيتانكور» والإبادة الصامتة في كولومبيا

◄ جول دوفور- ترجمة قاسيون

يا له من انتصار للبرجوازيات الغربية! واحدةٌ من مواطنيها جرى تحريرها. إنغريد بيتانكور حرةٌ وستتمكن الآن من الطموح إلى ترؤّس كولومبيا. ماذا عن الرهائن الآخرين الذين تمّ تحريرهم؟ من هم؟ ما الذي فعلوه قبل اختطافهم؟ ما هي المهمة التي كان من المفترض أن يؤدّوها ضدّ «فارك»؟ صمتٌ مطبق!!

صمتٌ أيضاً حول العواقب الاقتصادية والاجتماعية والسياسية لتطبيق «خطّة كولومبيا» التي موّلتها الولايات المتحدة بسخاء، خطةٌ للقضاء على السكان المدنيين الذين لا يتعاونون مع الحكومة القائمة... إبادةٌ صامتة!

تدفع التقارير التي تتناقلها الصحافة الغربية إلى الاعتقاد بأنّ الجيش الكولومبي قد أنجز عملاً إنسانياً غير مسبوق. لم يذكر أيٌ منها شيئاً عن عمليات الإعدام والقتل التي ارتكبها هذا الجيش في العقود المنصرمة بالتعاون مع سلسلة من الفصائل شبه العسكرية.

ينبغي النظر إلى مجمل الوضع الجيوسياسي في كولومبيا قبل مديح مهارات الجيش وبالأحرى التساؤل حول الدور الحقيقي الذي يلعبه في هذا البلد، أي ضمان المصالح الأجنبية والأمريكية، خاصةً في هذا الفضاء المزوّد بموارد طبيعية تتنافس عليها الشركات عابرة القومية ورجال الأعمال المهتمون بالزراعة. كما أنّه يحضّر نفسه لتحرير فنزويلا بأمرة «القيادة الجنوبية» (العسكرية الأمريكية). علينا ألا ننسى الحقيقة التالية: كولومبيا ليست سوى امتداد «للإمبراطورية الأمريكية» في أمريكا الجنوبية وتتلخّص مهمة حكومة أوريبي في تسهيل مهمّة رأس المال الكبير كي تتراكم الأرباح دون حدود.

• جول دوفور أستاذ في جامعة كيبيك/ كندا

عبد الوهاب المسيري... راحلاً
صورة المفكر عند الغياب

تناقلت وسائل الإعلام في الأيام القليلة الماضية خبر وفاة المفكر المصري الكبير عبد الوهاب المسيري، بعد رحلة معرفية طويلة قضاها في التأليف والترجمة والتدريس، لتفقد الساحة الثقافية العربية بوفاته مثقفاً كبيراً، امتلك مشروعاً ثقافياً جدياً وناضجاً، يستحق التقدير والاحترام، مهما اتفقنا معه أو خالفناه.

يصعب علينا في هذا الحيز أن نستعرض كل الإسهامات الفكرية التي قدمها الراحل، والتي حاولت الكثير من وسائل الإعلام الأخرى، على كل حال، أن تقدم عرضاً سريعاً لها، ما سنحاول تقديمه إذاً هو قراءة موجزة لموقع الراحل الكبير ضمن مشهد ثقافي عربي متأزم.

عايش المسيري صعود اثنين من أكثر التيارات السياسية تأثيراً على الثقافة العربية، ونعني بهما التيار اليساري والتيار الإسلامي، وكانت له بصماته الفكرية على كلا التيارين، ولذلك فقد عُدَّ دائما من مفكري اليسار، ومفكري الاتجاه الإسلامي المعتدل. وقد أثرت تقلبات ومصائر هذين التيارين بدورها على مشروع المسيري، إذ نلمح في كتاباته أصداء مشروع الحداثة العربية المجهض، ومن ثم نكوصه إلى الخلف وثورته على قيم الحداثة والمعاصرة.

هكذا كان المسيري من أهم أعلام التحول الكبير الذي طرأ على جيله من المثقفين، فقد انطلق بأدواته المعرفية المصقولة لينتقد الحداثة والتنوير الأوربيين، من مواقع (ماقبل حداثية) إن صح التعبير، مهاجماً قيم الحضارة «المادية»، التي رأى فيها تفكيكاً وتشييئا للإنسان. وخائضاً معركته الفكرية الكبرى ضد الفكر العلماني الذي فصل حسب وجهة نظره الإنسان عن «القيمة» (والقيمة هنا تعني القيم الدينية-الأخلاقية)، رابطاً كل هذا بدراساته الشهيرة في الفكر والتاريخ الصهيوني، ومقدماً مشروعاً لعلمانية «جزئية» تتناسب مع ثقافة المنطقة وهويتها الحضارية حسب تعبيره.

نجح المسيري إذاً في تقديم التعبير الفكري والفلسفي الأرقى للفكر الإسلامي المعاصر، ولعل ذلك هو ما ساعده على الظهور الإعلامي الواسع، حتى أصبح وجهاً مألوفاً للمواطن العربي، ورغم ذلك فقد ظلّ مشروعه محكوماً بنخبويته، فلم يقدر على تسيُّد الخطاب الإسلامي ، الذي بقي محروماً من التعبير الفلسفي الجاد، ربما عن قصد وتصميم من القائمين عليه.

وإذا كنا نرى أن مشروع المسيري الفكري قد بقي محدوداً بتناقضاته وأحادية نظرته، فإن ذلك لا يمنعنا من التنويه بأهميته الكبيرة، كفكر أصيل من الممكن الحوار والاختلاف معه تحت سقف من العقلانية والجدية، وفي سبيل إثراء الخطاب الفكري العربي.

■■

قصائد حب من ماريتشيكو

للشاعر الأمريكي: كينيث ركسروث
ترجمة: جولان حاجي

ملاحظة المؤلف:
ماريتشيكو هو الاسمُ المستعار لشابة معاصرة تعيش بالقرب من معبد ماريتشي-بن في كيوتو. إلهةُ الفجر ماريتشي-بن إلهةٌ هندية ما قبل آرية، و بودهيستافا في البوذية، و راعيةُ فتيات الغيشا و العاهرات و العاشقات والنساء في المخاض؛ و هي- في مقام آخر-واحدةٌ من آلهات الساموراي. معدودةٌ هي معابدها و مزاراتها و حتى تماثيلها في اليابان، لكنّ حضورها ماثلٌ في تماثيل الخنازير البرية التي تجرُ عربتها، و هذه التماثيل منصوبة في الطرقات العامة على غرار السفينكسات. ماريتشي-بن ذات رؤوس ثلاثة: الوجه الأمامي طافحٌ بالحنو و الشفقة؛ والجانبيُ وجهُ خنزيرة برية؛ و الثالثُ وجه امرأة منتشية بالجنس. إنها إلهة شعبية معروفة، برغم احتجابها عن الأنظار، في تاشيغاوا و شينغون. و كمثل شاكتي، شعاع النور؛ أو براينا، سلطة فاريوكانا أو حكمته(وَ هو بوذا الأول، داينيتشَي نيوراي)؛ فإنها تجلس مغمورةً بنعمة الحب الجسدي في حضنِ ميوجو- نجمِ الصبح.

كينيث ركسروث(1905-1982): شاعر و ناقد ومترجم أمريكي. ولد في إنديانا، و نشأ في شيكاغو حيث علّم نفسه بنفسه بعد طرده من المدرسة الثانوية، مترددا على الصالونات و النوادي الأدبية و المكتبات العامة. زاول مهناً تنوّعتْ بين مصانع الصودا و نوادي الملاكمة و الصحافة، و أمضى عامين في السجن بتهمة اشتراكه في إدارة أحد المواخير. سافر كثيراً عبر أرجاء أمريكا و أوروبا و الشرق الأقصى. انضمّ إلى الحزب الشيوعي الأمريكي مناصراً لجون ريد، و مراسلاً عدداً من الشعراء اليساريين البارزين كجورج أوبن و لويس زوكوفسكي، محاولاً مثلهم أن يخلّص الشعر من نبرته الوجدانية الانطباعية. تأثر بالسريالية في بداياته، كما أولى اهتماماً خاصاً بكتابات المتصوف الألماني جاكوب بوهم. كانت معارضته شديدة للحرب العالمية الثانية و انخراط الولايات المتحدة فيها، و خلالها مارس البوذية و التاوية، و عمل ممرضاً ميدانياً في مجال الطب النفسي، و صادق المدافعين عن البيئة والجمعيات المناهضة للحرب و المطالبين بالحقوق المدنية. أواخر الأربعينيات، أسس صالوناً لمناقشة الفلسفة و الشعر تردّدَ عليه شعراء جيل البيتس الذين عاشرهم و روّجَ لكتاباتهم مثل غاري شنايدر و ألن غينسبرغ و لورنس فيرلينيتي، و استمر كأب روحي خلال الخمسينات يعرض قصائدهم المصُحوبة بموسيقا الجاز في برامج إذاعية عديدة، كما كتب آنذاك قصيدة عن موت الشاعر الويلزي ديلان توماس لاقت رواجاً كبيراً، إلى جانب ديوانيه الشهيرين: «السلحفاة و الفينيق»، « التنين و وحيد القرن». ترجم إلى الإنكليزية بيير ريفردي و الكثير من الشعر الصيني القديم.

--1
أجلسُ إلى طاولتي.
ما عساي أكتبُ إليك؟
مريضةً بالحب،
أتوقُ لرؤية جسدك.
ما بوسعي كتابتهُ ليس إلا :
« أحبك. أحبك. أحبك.»
الحبُ يمزّقُ قلبي
و ينهشُ أعضائي.
رعشاتُ التوق تخنقني
و لا تكفُ عن خنقي.

--2
إذا ظننتُ أن بوسعي التسلُلُ
كي أجيءَ إليك
فستكونُ عشرةُ آلاف ميل ميلاً واحداً.
لكننا في المدينة نفسها
و لا أجرؤُ أن أرَاك،
و إنّ ميلاً واحداً لأطولُ من مليون ميل.

--3
آه، يا لوجع هذه اللقاءات السرية
في عزّ الليل،
أنتظرُ و بابُ الشوجي مفتوح.
متأخراً تأتي، فأرى ظلّك
يتحرّكُ بين الأوراق
في أقصى الحديقة.
نتعانقُ- خفيةً عن عائلتي.
أبكي و وجهي بين يدي.
تبتلّ أكمامي.
نمارسُ الحبّ، و بغتةً
يلوّحُ السادن
بالفانوس و الأجراس.
يا لوقاحَة ظهورهم
في مثل هذه اللحظة.
متبرّمةٌ بأشباحهم،
أهذرُ بالترهات
و لا أستطيعُ أن أتوقّف
عن الثرثرة
بكلماتٍ لا رابطَ بينها .

--4
تسألني عما كنتُ أفكّرُ به
قبل أن نمسي، أنا و أنت، عاشقين.
الجوابُ سهل.
قبل أن ألتقي بك،
لم يكنْ لديّ ما أفكّرُ به.

--5
لا أحدَ سوانا
في بيتنا الصغير،
بعيداً عن الناس،
بعيداً عن العالم،
لا شيءَ سوى هسيس الماء فوق الحجر.
ثم أقولُ لك،
« أنصتْ. اسمعِ الريحَ تعبرُ بين الأشجار».

--6
أنت توقظني.
تباعدُ فخذيّ، و تقبّلني.
أمنحُك ندى
أولِ صباحاتِ العالم.

--7
الصقيعُ يكسو قصبَ المستنقع.
ضبابٌ ناعم يهبُ عبره،
مخشخشاً الأوراقَ الطويلة.
قلبي المفعمُ يفيضُ خفقانهُ بالنعمى.

--8
تعالَ إليّ، مثلما تجيءُ خفيفاً
إلى سرير الجمر المتورّد
في موقديَ
متوهّجاً عبر الغابةِ المسكونة بالليل. ■■

زرقاءِ مثل أثر عضة حُبّ

◄ علي جازو

أنت جميلة

أسَرَّها : أنتِ جميلة. هذا الصباح، كم تبدين جميلة!

لم يحمر وجهها فحسب، بل إن الدمع تزاحم وارتعش وكاد يمزق نظراتها التي سحبَ التغزل المفاجئ هدوءها الناعم . دمع نقي، شفاف كجوف حبة رمان صغيرة ، لم يعهده من قبل في وجه فتاة. ظل خيبة، ندياً كسحابة ربيع، تماوج في قلب الفتاة الصامت، بعد أن استراح وجهها، وخفت لمعان البلل من عينيها الدقيقتين. استغربت جرأته، ثم أخذت تتفحص- تباعاً- وجوه الجالسين حولهما. ربما لحظ أحدهم التغير المفاجئ في ملامحها! ربما تبدلت بساطة حديثها المعتاد، إذْ لم تجد الوقت لتدارك أثر الإسرار اللطيف. ربما كانت مراقبة من أحدهم. وربما تقصد الجالس جنبها أن يختبر، على سبيل المجاملة الماكرة، وحدتها وانطواءها. آه. أرسلت الحيرة عميقة في نفسها. لم يُهدِّدْ حياؤها أبداً مثلما جرى تلك البرهة الغريبة هناك بين حشد ظل بالنسبة لها غامضاً ، مسرفاً في الكلام، ومشاعاً مثل وباء، مثل صخور مضجرة، مثل تعاطف تائه فقير. . !

صباحات السكاكر الملونة

● إلى ذكرى أمي الأولى

اعتادت الأم جلب حفنة من السكاكر إلى ابنها الوحيد.

ليست كأي نوع آخر. هي حبات حمص نصف مقلي، مغطسة بالسكر والطحين. تعددت ألوان حبيبات السكر. بيضاء يقارب ملمسها ملمس الكلس الخشن، حمراء فاتحة مدببة، نهدية كظلّ أمسية أعقبت نهاراً صافياً، زرقاء بلون سماء خريفية رطبة، صفراء خفيفة تجلب ذكريات مرح طائرة. يلف السمان كمشة السكاكر بورقة هي على الأغلب إحدى صفحات كتاب قراءة الصفوف الأولى. تحملها السيدة مع حاجات البيت اليومية: خضار، أرغفة خبز، وأشياء أخرى. تدس الأم لفافة السكر بحذر تحت مخدة الصبي. وإذ يستيقظ ، يبدأ على الفور رفع المخدة. أحياناً يكتفي مد أصابعه، تتلمس اللفافة فتسحبها بلا عناء. رحلت الأم. كبر الصبي. إ نه الآن مستلق في السرير: بيضاء شفافة كدمعة صغيرة. حمراء كروية عذبة. نهدية بلون غشاء الفجر. زرقاء مثل أثر عضة حُبّ. صفراء مغبَّشة مثل توَهّج سنبلة ترى من بعيد!

■■

ركن الوراقين

القصص القصيرة الكاملة

أربع مجموعات قصصية حصيلة نتاج غابرييل غارسيا ماركيز، يقدمها المترجم المرموق صالح علماني في مجلد صدر عن دار المدى بدمشق، هي: «عينا كلب أزرق»، «جنازة الأم الكبيرة»، «القصة الحزينة التي لا تصدق لاريندير البريئة وجدتها القاسية»، «اثنتا عشرة قصة قصيرة مهاجرة».. الكتاب فرصة للإطلاع على شغل هذا الروائي الكبير في حقل ثانوي هو حقل القصة.

تطور صورة الشرق

«تطوّر صورة الشرق في الأدب الانكليزي» كتاب من تأليف ناجي عويجان، وترجمة تالا صباغ وقد صدر حديثاً عن «المنظمة العربية للترجمة».

الكتاب بمثابة تجوال في التصورات الغربية المشوّهة عن الشرق، خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر. وبعد عرضه الواسع لكتابات كانت تتناول «أرض الهمجية والمجون»، يتوقف المؤلف عند أعمال لورد بايرون الذي فتح الباب أمام القارئ الغربي ليتعرّف فعلاً إلى حضارة مختلفة.

هَدْب الهيْدَب

تحت هذا العنوان الغريب، يقدّم وفيق أسعد مجموعته القصصية الخامسة، مجازفاً بقيمة البساطة التي تدير دفّة سرده عادة، وإضافة إلى العنوان المعجمي العريض، تأتي العناوين الداخلية للقصص من التوجه ذاته، بحيث يحتاج القارئ إلى مصاحبة معجم يساعد في فكّ هذه الأحاجي، مثل «النّغق»، «عثون الزمن».. يذكر أن وفيق أسعد يكتب الشعر أيضاً ومن مجموعاته؛ «لهاث»، و«انفجار الجلنار». ■■

(تم إغلاق تحرير هذا العدد مساء يوم الأربعاء 2008/7/9) «قاسيون» يصدرها الشيوعيون السوريون بناءً على قرار المؤتمر الاستثنائي للحزب الشيوعي السوري في 2003/12/18

ولكن..
ماذا يحدث لو كان للحكي جمرك؟

◄ خليل صويلح

لم يعد الصمت فضيلة، فالحكمة التي ترى في الكلام«فضة»، لن تجد اليوم من يوافقها على أن السكوت من ذهب. الصمت فضيلة الحمقى فحسب. لا احد يرغب بأن ينصت إلى الآخر، فالمهم أن تحكي أنت، وأن تنطق بكل ما يخطر في بالك. انثر جواهرك على الطاولة: من حالة الطقس باعتبارها مفتاحاً لكل الأحاديث السمجة، إلى ارتفاع سعر«الطماطم، والبقدونس..» مروراً بالحروب الاستباقية، والخطط الحكومية الفاشلة، ومغامراتك العاطفية التي تُكلل على الدوام بالانتصارات الساحقة، وانتهاء بعروض الأزياء وعمليات التجميل، وأغاني نانسي عجرم. ألست عبقرياً لم يكتشف مواهبه أحد؟ من حقك إذاً أن تعوّض بعض خسائرك بمصادرة رأي الآخر، فهو في أحسن الأحوال مجرد طبل أجوف، مهمته أن يتلقى ضرباتك وصدى صوتك.

في مشهد آخر مكرر، وفي حال اجتمع عبقريان بالمواصفات نفسها، ومن العيار الثقيل ذاته، سوف يكون الإرسال والتلقي على موجة واحدة، كلاهما يحكي، فالإنصات ليس مهماً، المهم هنا البث المباشر، كما لو أن الأمر يحدث في محطة «f.m» متنقلة، وأن تتخلص من مخزونك الفائض من الحكي، فهناك من يكنس كلامك في آخر الجلسة، ويضعه في سلة المهملات. إذا قلت أنك تشعر بصداع، فستأتيك الإجابة على الفور باستعمال برشامة من نوع ما، وإذا حاولت أن تشرد مع نفسك قليلاً، فإن لكمة لفظية بانتظارك، وسلة كاملة من الثمار الشهية: مانغا عاطفية، ومشمش سياسة، وكستناء أكاذيب. لن يصادفك أحد يحمل في قاموسه اليومي عبارة «لا أعلم». من سائق التاكسي إلى صاحب البقالية المجاورة لمنزلك، فما بالك بمحيطك (الثقافي)، فهنا مربط الفرس، أليس مهنته صناعة الكلام؟ هنا في هذا «السوبر ماركت» المفتوح ليلاً ونهاراً، ستجد كل البضائع، المحلية والمستوردة، من إبرة الحداثة، إلى «كبكوبة» الرواية، مروراً بالبطاطا المجففة للنقد الأدبي والسينمائي والتشكيلي والمسرحي، بكل النكهات، مع الفلفل الحار، والأجبان. لكل سؤال مهما كان صعباً، إجابة جاهزة، فالرفوف تغص بكل ما يخطر في بالك. هناك من يحدثك عن رواية لم يتصفحها بعد، وعن الخطط السرية للمحافظين الجدد، وأين تسهر هيفاء وهبي في هذه اللحظة، ويهز رأسه ببطء، نظراً لثقل المعرفة في دماغه، ثم يكمل حديثه(الشيّق؟)، في أمور العباد في أنحاء المعمورة كافة، من دون توقف، فالبطارية مشحونة على الدوام، إيماناً بمقولة «ليس على الحكي جمرك». ولكن ماذا سوف يحصل لو كان للحكي فاتورة فعلاً؟

كم من الوعود الكاذبة، سيتردد أصحابها كثيراً، قبل أن ينطقوا بها، ابتداء من كلمة «أحبك» سيئة الصيت، والتي ينطقها العاشق المتيم لثلاث فتيات مختلفات في اليوم الواحد: مرة هاتفياً، ومرة عبر البريد الالكتروني، وثالثة وجهاً لوجه.. (أعرف أحدهم، يكتب «مسج» موحّد، لأكثر من فتاة، في آن واحد، وينتظر النتيجة، التي لا بد أن تصيب الهدف لدى إحداهن)، وأقرأ جرائد محلية تغص بوعود تحسين رفاهية المواطن، ومحاربة الفساد، ونزاهة القضاء، لكنها تتراجع عن أقوالها، قبل أن يجف الحبر. وأعرف مثقفين مختصين بكتابة وعود انتخابية لمرشحين أمين. وفي المقابل، أليس علينا أن نتذكر أطناناً من الوعود السياسية العربية الغاضبة، من«لاءات» قمة الخرطوم الشهيرة إلى اليوم، في ما يخص فلسطين وحدها، فما بالك ببقية الخريطة العربية الممزقة؟

ماذا لو استفدنا من ثروة الكلام العربية المهدورة، أليس لدينا أطنان منها، فهي ثروة قومية حقاً، تتفوق على كل ما لدينا من كمية الذهب الأبيض، والذهب الأسود، والذهب الأصفر؟

ألم تلتفت المحطات الفضائية مبكراً إلى قيمة هذه الثروة، وتعتمد على ملايين المهووسين في الاتصالات، للتصويت لفتى معتوه، أو فتاة متلعثمة، كي يصلا إلى سلم النجومية؟ أو لكتابة رسائل لا معنى لها إلى ريم البوادي أو إلى خيّال المرسيدس؟

وإذا كنا إلى اليوم خارج قوائم «موسوعة غينيس» للأرقام القياسية، فإننا بالتأكيد، سوف نحصل على حصتنا في رأس

القائمة في ما يتعلق بالكلام المجاني، وابتكار الشعارات، فلكل مؤتمر أو مهرجان شعار رنّان، سرعان ما يخفت بريقه، حتى قبل أن ينسحب الحضور من القاعة، وفي الغالب، فإن هذا الشعار يتمحور حول «نحو مستقبل أفضل»، والغريب حقاً، أننا ننظر بحنين لا يوصف إلى الماضي وحسب، فنحن نتغنى بماضي الأجداد، أكثر مما ننظر باحترام للحظة المعاشة. نخترع انتصارات وأبطالاً وأضرحة، كي نحكي عن مآثر أصحابها(أليسوا أجدادنا؟).

تعالوا أخيراً، نقف أمام المرآة صباح كل يوم، ونحصي حصيلتنا من أكاذيب الأمس. الكذب الأبيض والكذب الأسود، والكذب الرمادي!

khalil.s@scs-net.org

بسام كوسا: الشباب الجدد يحطمون ثقافة الرموز الراسخة

◄ عتاب لباد

يتمتع الفنان السوري بسام كوسا (مواليد حلب) برصيد جماهيري كبير لكونه عمل على تقديم ذلك النوع من الشخصيات التي يصعب تجسيدها.ولذلك فالكثيرون يعتبرونه فنان سورية الأول.. إضافة إلى ذلك فهو رسام ونحات وفنان تشكيلي وكاتب قصص قصيرة ومقالات ثقافية. من أعماله التلفزيونية: «باب الحارة»، «الانتظار»، «سيرة آل الجلالي»، «أحلام كبيرة»، «الخوالي».. أما في السينما فقد قدم أعمالاً هامة في الذاكرة السينمائية السورية :«نسيم الروح»، «الكومبارس»، «تراب الغرباء».

• عايشت الدراما السورية في مختلف مراحلها. ما الخلاصات التي أوصلتك إليها التجربة؟ وما انطباعك العام عن الدراما السورية؟

مرّتْ الدّراما السورية بمراحل عديدة، وخطها البياني لم يكن مستقرا. لكنها استطاعت أن تحتل مواقع متقدمة كأداة تعبير، خصوصاً مع تطور وسائل الاتصال التي كان لها الفضل في انتشارها، وكذلك تعدد الفضائيات الذي مكنها من إيصال رسائل للمجتمعات الأخرى، سواء مجتمعاتنا العربية هنا، أو العربية في الخارج، كما استطاعت أن توصل رسائل سياحية و سياسية، بالإضافة إلى الرسالة الاجتماعية .

• يربط البعض تراجع حضورك على الشاشة الصغيرة بصعود عدد من الفنانين الشباب، الذين بدؤوا يحتلون مكان الفنانين المخضرمين والقدماء ، ما رأيك بهذا؟

فليكن.. أنا سعيد جداً بهذه الظاهرة، فهي تعبير حقيقي عن حالة صحية بدأت ملامحها تظهر في وسط الفنانين، إذ أن في هذا الشيء تحطيماً لثقافة الرموز الراسخة.

ومن جهة أخرى أنا أفخر بكل الشباب الجدد من الفنانين الذين بدؤوا ينالون الحظوة عند المشاهد لما يتمتعون به من كفاءات عالية وإصرار على التنافس وتقديم الأفضل.

• ما تقييمك لنتاج كتّاب الدراما عندنا، خاصة وأن الكاتب يشكل الحلقة الأولى في إنتاج العمل وإظهاره للناس؟ وأي الكتّاب قدّم لك شخصية مكتملة؟

بعيداً عن ذكر الأسماء.. جميعهم جيدون، وأنا لا أقبل العمل حين يكون نصه غير جيد، ولكن أتساءل: لم لا يستعين كتاب الدراما في سورية بروايات عربية أو عالمية ويشتغلون عليها، فالرواية تفتح آفاقاً ومضامين جديدة.

• ماذا يقدم لك الدور على الصعيد الإنساني؟

كل الأدوار التي لعبتها تقدم لي غنى معرفياً مهما كانت تلك الأدوار وأيا كانت أوضاعها. بعض الشخصيات ذات عقلية إصلاحية موجودة عند الكثير من الناس، وبعضها الآخر ببنى عقلية مركزة ومركبة أيضا.

في كل شخصية ألعبها أقدم وجهات نظر، قد أتفق مع الأفكار التي تطرحها وقد لا أتبناها فكريا، ولكن أهمية كل الشخصيات أنها تعطي أجوبة عن أسئلة قد يطرحها الإنسان على نفسه بالشكل العادي والطبيعي. أحياناً تكون عندك أسئلة لا تجد لها أجوبة، ربما تجد لها أرباع أو أنصاف حلول.

ومعرفة النماذج الإنسانية التي تؤديها عن طريق الفن والدراما، تسهل الصعوبات وتخفف من هذه الأسئلة التي تقض مضجع الإنسان.

• درست في كلية الفنون الجميلة . قسم النحت. ما الذي قادك إلى التمثيل إذاً؟

أنا أعمل في المسرح من أيام دراستي في كلية الفنون، على مسرح الجامعة، وبالتالي لم أكن بعيداً عن جو التمثيل فكان انتقالي إلى التمثيل تعبيراً عن رغبة حقيقية، وحب جارف، وبكل سهولة أيضا.. كما أن فن النحت أفادني كثيراً في تكوين شخصياتي، فكل الفنون بالنهاية تتداخل بشكل أو بآخر.

• إلى أية درجة يمكن للفنان أن يكون إنساناً فاعلاً في السياسة وموجهاً فيها من موقعه؟

أنا لا أحب التعاطي بالسياسة، وبعيداً كل البعد عن الشعارات والمانشيتات العريضة، فليس بالضرورة أن أتبوأ مركزاً سياسياً حتى أستطيع التوجيه أو إبداء رأيي في أي موضوع كان، فأثناء تقديم أي دور هناك حتماً رسالة تحمل هماً سياسياً ووطنياً، فمثلاً عندما تتحدث عن الفقر تتحدث سياسة، وعندما تتحدث عن الازدحام في السكن وفي الشارع تتحدث سياسة وعن الفساد الإداري. كل هذه الأمور تعني المواطن، وتلامس همومه، فليس بالضرورة أن أكون في مركز سلطة حتى أستطيع ان أقول كلمتي.. فنّي هو سلطتي!

• ما رأيك بموضوع توريث المهنة كما فعل الكثير من الفنانين؟ وهل تسمح لأحد أبنائك بامتهان التمثيل إذا كان موهوبا ؟

أنا ضد هذه الظاهرة تماما، وجميعهم أثبتوا فشلهم الذريع إلا القلّة القليلة النادرة، فالموهبة لا تورث، وبالنسبة لامتهان أحد أبنائي التمثيل لن ينجح حتى لو كان موهوبا، لأنه سيعتمد على اسمي أولا وأخيرا، وفي النهاية لم يستطع أي فنان أن يخرج من تحت جناح والده ويكوّن جناحاً لنفسه بالأهمية نفسها إلا زياد الرحباني، هذا العبقري الذي لن يتكرر. ففي كل 50 عاماً يولد عبقري في مجال من المجالات، وزياد الرحباني هو هذا العبقري في مجال الموسيقى منذ الثمانينات.

• ماذا عن مشكلتك مع المؤسسة العامة للسينما. وهل هي شخصية ؟

لم تكن المشكلة شخصية، ولكن الأستاذ محمد الأحمد هو من حولها لشخصية عندما رفض إنتاج فيلم لي مدته 10 دقائق يمكن لأية جهة إنتاجه دون مبررات، وهو بالنهاية لم يقدم شيئاً يذكر للمؤسسة حتى الآن.

■■

أسبوع ثقافي فنزويلي في ثربانتس:
عالم أصيل ورنّان

بحبّ واحتفاء كبيرين استقبلت السفيرة الفنزويلية في دمشق، د.ضياء نادر العنداري، ضيوف «الأسبوع الثقافي الفنزويلي» يوم الأحد الماضي في المركز الثقافي الإسباني بدمشق «ثربانتس».

د. العنداري، بزيها الشعبي، تكلفت بمهمة توضيح غاية الأسبوع الثقافي. كما أخذت تعلّق على الصور الفوتوغرافية «عالم رنان» التي ترصد تفاصيل من حياة بلدها وأهله. بدأت حديثها للجمهور بشرح اسم فنزويلا.. عربيتها كانت تخذلها عند بعض المفردات، لكنها بخفة دم ومرح طفولي كانت تستعين بصورة ما من الصور المعلقة ليرمي أحدٌ إليها بالمفردة التي تريد. «فينيسيا الصغيرة» هي فنزويلا، أي البيوت العائمة في الماء، فالسكان الأصليون بنوا بيوتهم داخل الماء، كما هي فينيسيا «البندقية»الإيطالية.

بعد الجولة بين الصور الضوئية، تحدّث كل من مدير المركز السيد باولو مارتيني، والسفيرة، عن العلاقات السورية الفنزويلية المميزة «في فنزويلا عدد من المهاجرين السوريين، والعلاقات بين سورية والجمهورية الفنزويلية البوليفارية قوية ووثيقة» قال مدير المركز. تلته في الحديث السفيرة التي بينت أن الأسبوع يأتي في سياق احتفالات بلادها بعيد الاستقلال، بعد قرابة قرن من النضال، ضد الاحتلال الإسباني.. وهنا عانقت مدير المركز بحبّ.. وأكدت بعد مزحتها الطريفة تلك على أن الاستقلال الحقيقي هو تحقيق السيادة، خاصة أنّ شعار هذه الاحتفالات هو: «فنزويلا سيّدة حرّة». كما وتطرقت إلى ما تتعرض له بلادها من ضغوط، مثل الكثير من دول أمريكا اللاتينية، ودول العالم كإيران وسورية، وأنّ نضال الشعوب يجب أن يستمر ضد الغطرسة الأمريكية، «حتى نصل إلى عالم متعدد الأقطاب» حسب تعبيرها .

بعد ذلك عرض فيلم «بوليفار خالد » الذي يتحدث عن المراحل الأساسية في حياة سيمون بوليفار... وفي الأيام التالية عرضت أفلام عديدة منها : «سانغرادو» للمخرج ليوناردو إنريكيث وكاتبه والذي يعتبر صياغة حرة للعمل التراجيدي«ماكبيث» لشكسبير، حيث تدور أحداثه في بداية القرن العشرين. «الرجل الآلي» الذي يقص حكاية الرجل الآلي ديف في محاولاته الحثيثة للتخلص من عالمه الآلي، وفيلم «مغامرة أوسكار السحرية» الذي يركّز على أوسكار صبي الثامنة وقصة شغفه بالطيران.

وفي تصريح خصّت به«قاسيون»قالت سعادة السفيرة مرددة جملة من أقوال بوليفار: «صحيح أننا تخلصنا من الاستعمار الإسباني، ولكن سيأتي عدو أخطر».. مشيرة إلى واقع السياسة العالمية الآن، حيث يتمثل هذا العدو في الوحش الأمريكي الذي يهدد لا فنزويلا وحدها، ولا دول أمريكا اللاتينية، بل كل دول وشعوب العالم.. ورأت أنّ شعارات تشافيز «تكامل، تكافل، تضامن» تتجسد في هذا الأسبوع الذي يقدم ملمحاً من الهوية الثقافية لبلد يخوض معركة «سيادته الحقيقية» التي لا تتحقق إلا بوصول دول العالم الثالث جميعها إليها .

■■

زوروا موقعنا على الأنترنيت: www.kassioun.org زار موقعنا بين عددين 72.421 زائراً